

رِسَالَةٌ فِي
رَدِّ مَذْهَبِ لَوْهَابِيَّةِ

تَأَلَّفَ
الْعَلَمَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الرَّعْضِيُّ

مُتَّخِذُ
الْشَيْخِ نَعِيمَانَ النَّصْرِيَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موجز عن حياة المؤلف: السيد محمد العصار

نسبه وولادته:

هو محمد بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني المعروف بـ «العصار» ولد في سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م) وتوفي سنة (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) وكان حكيماً، متكليماً، فقيهاً، أصولياً، شاعراً، ومن مفسري الشيعة.

عاش في طهران ومشهد، لُقّب في أوائل عمره بالناظم ثم بـ «آشفته تهراني» أي الغاضب الطهراني وفي أواخر عمره لُقّب بـ «العصار» وكانت عائلته في الأصل من مازندران.

أبوه هو الحاج السيد محمود اللواساني، عاش أولاً في مدينة لواسان ثم هاجر إلى طهران.

وقد أَرخ المؤلف نفسه ولاته في كتاب تاريخ العصار ومقدّمة تفسير ناسخ التفاسير جاء فيه: «ولدتُ في سنة ربيع ناصِر الدين شاه القاجاري على كرسي الحكم أو السنة التالية لها ويعني سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م) أو (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م).

دراسته الحوزوية:

درس العصار مقدّمات العلوم في طهران، وفي الثالثة عشرة من عمره الشريف سافر إلى طالقان برفقة أستاذه، وبعد مدّة عاد إلى طهران، فدرس كتابي معالم الأصول وشرح اللمعة على يد الشيخ محمد حسن الجاله ميداني وملاً اسماعيل القره باغي. وبعد إتمام مرحلة السطوح في طهران هاجر إلى مدينة كربلاء المقدسة للتلمذ على يدي علمائها وفقهائها آنذاك أمثال زين العابدين المازندراني (ت ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م) والذي كان مرجعاً للتقليد في الهند ومازندران.

سفره إلى السعودية والبلدان العربيّة:

بعد ذلك سافر إلى مدينة الرسول على ساكنها الصلاة والسلام، حيث التقى هناك مع حاكمها آنذاك خالد باشا، وأنشد قصيدة في مدحه فأجازه بهدية، وبقي مدة في المدينة حيث ألّف كتاب التحفة المدنيّة في العروض سنة (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م).

وفي نفس تلك السنة سافر إلى مكة زادها الله شرفاً وقد حضر
هناك دروس السيد أحمد دحلان ودرس الأدبيات عند الشيخ
محمد بسيوني وحصل على إجازة الرواية للصحاح الستة لأهل
العامة من المولى عبدالغني الهندي الحنفي وغير ذلك.

وسافر أيضاً إلى بيروت ودمشق ثم عاد إلى النجف، وبعدها
وفي سنة (١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م) سافر إلى سامراء لحضور دروس
الميرزا الشيرازي، وبقي هناك إلى سنة (١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م) حيث
ترك سامراء متوجهاً إلى طهران مسقط رأسه، فبقي فيها عدة
سنوات.

ونقل عنه أنه بعد اثنتي عشر سنة من العزلة والابتعاد عن
الناس ترك طهران في الثاني من ذي الحجة الحرام سنة (١٣٤٠ هـ -
كانون الثاني ١٩٢٢) ورحل إلى مدينة مشهد المقدسة، وبقي إلى
أواخر عمره بجوار مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

أساتذته:

حضر السيد العصار طيلة زمان دراسته في المدرسة العلمية
عند كبار أساتذة عصره، فقد درس عند الميرزا الشيرازي (ت
١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) والآخوند الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)
كما حصل على إجازة الرواية من الميرزا حسين النوري

(ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) والسيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) والسيد محمد بحر العلوم والشيخ محمد حسن المامقاني (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) والشيخ عباس كاشف الغطاء من علماء الشيعة والشيخ محمد بسيوني المكي الشافعي من علماء أهل السنة.

تلاميذه:

لقد ربّى السيد العصار مجموعة كبيرة من الطلبة وغذاهم من فيض علومه، وقد أشار صاحب الذريعة إلى أحدهم وهو الميرزا أحمد بن صالح البادكوبتي (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م).



سيرته العلمية:

لقد عاش المترجم حياة حافلة بالعلم والمعرفة وترك آثاراً علمية كبيرة، ولكن كثيراً منها - كما ينقل عنه - تعرّض للسرقه أو الضياع بسبب تنقلاته المستمرة من مكان آخر، ويعلم مما كتبه السيد المترجم له أنه تعرّض خلال حياته للفقر والمصائب الكبيرة، وتعرّض في كثيرة من الأحيان لمحاولات الاغتيال، من ذلك ما ذكره في كتاب تاريخ العصار: في الوقت الذي كثر فيه أصحاب الحوائج والمسائل عليّ، فإنّ ذلك لم يكن ليمنعني من تخصيص عمدة وقتي لطلب العلم، وبحمد الله لم أنحصّر أو أندم على

ذلك وكان مايسرني ويؤنسني هو أن أكون قرب المحبوب الحقيقي .
ولأنني كنت من العلماء الذين يوجهون الناس ويعبثونهم حتى
الشيخوخة فقد تعرّضت للإغتيال وجرححت خمس مرّات ولكنّ
الله تعالى نجاني من القتل بلطفه .

وبقيت مدّة طويلة تحت العلاج كي يتسنى لي الشفاء من تلك
الآلام والجروح ، وقد نجاني الله تعالى من الفرق في السفر مرّتين ،
وكذلك حفظني من الحرق والهدم ، بعد كلّ تلك الحوادث الجسيمة
آثرت العزلة وترك الاختلاط مع كافة طبقات المجتمع ممّا حدا بي
إلى التعمّق في المسائل العلمية والنظر الدقيق في المطالب .

وفي أواخر عمري أصبت بالضعف الجسمي وأصيبت عييتاي
بالعمى فأجريت عملية جراحية لها ولكنها لم تترك تأثيراً على
العين اليمنى ، ولكن العين اليسرى حصل لها بعض التحسّن حيث
تسنى لي بواسطة النظّارة والعدسة المكبّرة القراءة والكتابة ولكن
بصعوبة .

آراؤه الخاصة في المنهج الحوزوي:

للسيد آراء خاصة يعتقد بها بالنسبة للمنهج المتبع في الحوزة
العلمية ويرشد الطلبة وخصوصاً طلبة العلوم القديمة حيث كتب:
لا يلزم على الطلبة الدخول في دراسة علم المنطق من أي جهة

وكون المنطق بعصم الفكر من الخطأ كما هو معروف لا وجه له إلى أن يقول: ... ولذا تعتبر جميع الاصطلاحات المنطقية سريعة النسيان وفلبلة الاستعمال في العلوم الأخرى. حتى في الحكمة فإن الاعتقاد السائد أن المنطق وضع لأجل فهم الحكمة ولكن لا أصل لهذه الشهرة.

وأما الفقه فيكون دراسة المتون الفقهية التي تحيط برؤوس المسائل وبكفي من الأصول المختصرات منه كتهذيب العلامة ومعالم الأصول. وبعدها تلخيص الأصول وتلخيص الفرائد الذي هو توضيح المطالب المهمة التي تنفع في الفقه، وأما الرجوع إلى المطولات مثل القوانين والفصول والفرائد للشيخ الأنصاري وكفاية الأصول فهو من أسباب التأخير في الدراسة بلا مبرر.. وكذلك حضور درّس خارج الفقه والأصول تضييع للعمر. وينظري فإن قراءة بعض الكتب الاستدلالية مثل شرح اللعة والمسائل وجامع المقاصد في حال وجود مدرّس فادر على الجمع بين تدرّس هذه الكتب والنحقيق في مسائلها أحسن وأكمل من حضور بحث الخارج، وهو نافع للطلبة بشكل كبير.

آثاره:

١- بركات الرضويّة: وهو دورة أصولية كاملة وقد جمع فيه

بين كتابي تلخيص الأصول وتلخيص الرسائل.

٢ - فقاها الرضوية: في الفقه الاستدلالي وهو جزءان: الأول في مقدمات الفقه وأصوله في أبواب العبادات والمعاملات أتمه في (٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٦هـ).

ثم ذيله برسالة رجالية في أسماء وألقاب الأئمة: وأصحابهم ورواة كل رواية وأتمها في (٢ ربيع الثاني ١٣٤٧هـ).

وأما الجزء الثاني فهو من أول الطهارة إلى آخر التيمم، بدأ بتأليفه في (٢٤ ذي الحجة ١٣٤٦هـ) وأتمه في (النصف من شعبان ١٣٥٠هـ).

وقال حول كتابه فقاها الرضوية: وصحيح أن مقدمة الكتاب مفصلة ومطولة ولكن فائدتها هي أن الطالب إذا كان حاضراً الذهن متوجّه إلى مطالب الكتاب فإنه سيستغني عن الرجوع إلى الكتب المصنفة في الأصول والقواعد الفقهية المعروفة كقواعد الشهيد الأول وتمهيد القواعد للشهيد الثاني و...

٣ - تفسير ناسخ التفاسير: يوجد نسخة خطية منها في الآستانة الرضوية المقدسة.

٤ - تلخيص الكفاية.

٥ - شرح الزيارة الجامعة المسماة بالإلهامات الرضوية.

٦ - قولمعو الأوهام في الرد على كتاب ينابيع الإسلام تأليف

أحد النصارى كتبه في تخطئة الدين الإسلامى .

٧- رسالة في ردّ مذهب الوهابية - وهي التي بين يديك - .

٨- مواهب الرضوية في الردّ على الدعاة من المسيحيين والبهائيين والقاديانيين .

٩- مختصر حياة الإمام الرضا عليه السلام .

١٠- الإشرافات الرضوية: وهو شرح بالعربية على منظومة السبزواري .

١١- التوحيد الكمالي والأخلاق الكمالية - في علم الأخلاق - مجلدين كتبه في فترة إقامته في طهران .

١٢- ومن آثاره الشعرية:

أ- لسان الغيب في استقبال المنتوي كتبه في أوقات المهجد في السحر، وامتاز بكثرة الألقاب عليه من الناس .

ب- بيان الغيب في استقبال خواجه حافظ .

ج- نباح الغيب في خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وواقعه الطف إلى رجوع أهل بيته إلى المدينة . وقد طبع مع كتاب آداب السلوك للرعية والمملوك .

د- شرح منظوم على «كلشن راز» .

إضافة إلى ذلك فقد نظم المؤلف مجموعة كبيرة من القصائد الغزليات والمخمّسات والرباعيات باللغتين العربية والفارسية .

- ١٣ - كما كتب شروحاً وحواشي كثيرة منها:
- أ - شرح كشف قواعد العلامة.
- ب - حاشية على كشف الفوائد للعلامة الحلي.
- ج - وجوه تأمل على مكاسب الشيخ الأنصاري.
- د - شروح على قواعد الشهيد الأول.
- هـ - شرح وجيز على منظومة السيد بحر العلوم.
- ١٤ - قام المؤلف بتصحيح قسم من الكتب المهمة منها:
- أ - مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري.
- ب - مستدركات الوسائل.
- ج - قواعد الشهيد الأول.
- د - كشف الفوائد للعلامة الحلي.
- هـ - منظومة السيد بحر العلوم.
- و - جزءان من إقبال السيد ابن طاووس.

وفاته:

توفي المرحوم العصار في التاسع من محرم سنة ١٣٥٦ هـ ٢٢ آذار ١٩٣٧ في مشهد المقدسة ودفن في الايوان الذهبي للإمام الرضا عليه السلام.

منهج التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة الشريفة على مخطوطتين موجودتين في مكتبة الاستانة الرضوية المقدسة الأولى كاملة بخط نستعليق ورمزنا لها بالرمز: «س» وهي رديئة الخط وكتبت سنة ١٣٤٣ هـ وعدد أوراقها ٣٠ بطول ٢١ وعرض ١٧ سم وهي مختلفة السطور.

وأما الثانية فرمزنا إليها برمز: «ن» تمتاز بمجودة الخط ولكنها ناقصة من الأخير وخطها النسخ وعدد الأسطر ٢٤ وعدد الأوراق ٢٤ بطول ٢١ وعرض ١٧ سم.

وقد قمت بمقابلة النسختين وبيّنت ما بينهما من الاختلاف وأصلحت الأخطاء الإملائية التي وردت وأشرت لها بالهامش واستخرجت الآيات والروايات من كتب الفريقين وغيرها، وقلت بتقطيع الرسالة طبقاً للفواعد الحديثة وأشكلت ما يحتاج إلى السكل من العبارات وغير ذلك مما يرتبط بالإخراج والنقويم. وأشرت أحياناً بكلمة الأصل أو النسختين إلى «س» و «ن» وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك العمل القليل خالصاً لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

نعمان النصري



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾^(١).

الحمد لله الذي هدانا إلى الاسلام، وجعلنا من أمة محمد ﷺ والأئمة الكرام عليهم الصلاة والسلام، واللعنة الدائمة على أعدائهم من الآن إلى قيام يوم القيام.

وبعد؛ فيقول العبد الجاني محمد الحسيني الطهراني، حليف الأئمة والأمانى:

إني - والله الحمد - من سوء القضاء أو لكون الله تعالى يفعل ما يشاء واقع في زمان تهاجم الفتن، وتعاضل أعداء الدين، المصيرين على تبديل الفرائض والسنن، وتعطيل الأحكام بجدد أكيد في السر والعلن، وظهور ذلك للعين والعيان أغنانا عن

١ - سورة طه: الآيات ٢٥ - ٢٨

تفصيل العناوين بالبيان .

والعجب من الجماعة الوهابية من أنهم أسسوا أساس العناد،
بعنوان ديانة العباد، أعلى وأعظم من البائية والبهائية؛ حيث
زعموا أنفسهم موحدين، وكل فرق المسلمين مشركين، وجعلوا
القتل والنهب والأسر والعصب ديانة حقّة، وعبادة مستحقّة،
وأعجب من ذلك إقامتهم الدليل على مرامهم من التنزيل، بعنوان
ظاهره لا التأويل، زاعمين أنهم جند الله الغالبون، وسائر المسلمين
كفار مشركون، ولم أر من كتبهم إلا سطرّاً، ولا من أدلّتهم الأنزراً.
ولقد أراني من كتبهم كراساً ناقصاً أولاً وآخرأً بعض
الأحباب، من السادة الأجلّة الأنحباب، وسلالة العلماء الأعلام
الأطسياب، سائلاً منّي التعرّض لأجوبة مقالاتهم، والردّ
لاسندلاتهم، فأجبنه حبّاً وكرامة، ويعد أن كتبت ما يمكن
جواباً عما في الأوراق الناقصة وجدت تلك النسخة تامة سليمة^(١)
أولاً وآخرأً، وقد تعرّض لما عليه بعض أصدقائنا المعاصرين
الفاطن في الكاظمين، والرسالة - على ما عرفه المعاصر - لمحمد بن
عبد الوهاب الحجازي؛ إمام الفرقة الوهابية، ووظني أنه
كذلك وإن لم أجد في هذه الأوراق والرسالة ما يشير إلى صاحب

١ - هي الأصل، تامّة سليمة، والصواب ما أثبتناه.

المقال المصّر بإضلال الجهال - وذلك لكون ذلك المعاصر المتعرّض
لرّد كلمات هذا المضلّ القاصر والزنديق المجاهر قريب العهد
بتهاجم الوهابية على كربلاء [ء]. ومطلّعا على إمامهم ورأيهم في
تلك الأوقات.

و كيف كان؛ فنحن نرى ما قاله الفاتل زوراً، وألقى إليه
الشیطان زخرف القول غروراً، وعلينا إقامة البرهان، وإبطال ما
ألقى وأوحى إليه الشیطان، فنبدأ بإزهاق أباطيله من ابتداء
أقاويله فنقول:

قال مرید الشیطان الرجیم: «بسم الله الرحمن الرحيم»
إغفالاً للجهال، لكونه مؤسس الإضلال، وجالب الخزي وحبية
الآمال، إلى العامة والجهال، والله العالم بالسّر وأخفى وأعماق
الخيال، ثم قال:

«اعلم - رحمك الله - أنّ التوحيد هو أفراد الله بالعبادة، وهو
دين الرسل والذين أرسلهم الله تعالى به إلى عباده؛ فأولهم
نوح؛ أرسله الله تعالى إلى قومه لما غلوا في الصالحين؛ وذأ،
وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، وآخر الرسل محمداً ﷺ،
وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس
يتعبّدون، ويحبّون، ويتصدّقون، ويذكرون الله كثيراً ولكنهم
يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد

منهم التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى بن مريم، وأناس غيرهم من الصَّالِحِينَ، فبعث الله مُحَمَّدًا يَجِدُّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبُ وَالاعْتِقَادُ مُحَضَّرٌ حَقُّ اللَّهِ، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلًا مِنْ^(١) غَيْرِهِمَا، وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ^(٢) الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، يَقْرَءُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ، وَلَا يَحْيِي، وَلَا يَمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا، كُلُّهُمْ عِبِيدُهُ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ، فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَشْهَدُونَ بِهَذَا، فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُزِرُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٣) وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾^(٤) وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿قُلْ مَنْ

١- كذا، والصحيح عن

٢- كذا والصحيح المشركون

٣- سورة يونس، الآية ٣١.

٤- سورة المؤمنون الآية ٨٤-٨٥، وهي المصدر المتقرون وهو خطأ، والصحيح ما اتفاد

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ جَبَرٌ وَلَا يَجَاؤُ غَلْبُهُ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَأَنَّى تُشْعِرُونَ^(١) إِلَى غير ذلك من الآيات» انتهى محل الحاجة.

أقول : ويشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿قُلْ لِيُنْزِلِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٢)﴾ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ^(٣) ولا بد لنا من توضيح مقالاته ونشرح كلماته وتلخيص مراداته، ثم بيان ما يرد على مراده من عباراته.

وقبل الشروع في التوضيح والتشريح لا بد لنا من تقديم مقدمة شريفة يستعملها على تخريب [الـ] أساس الذي أُسسه بإبطال استدلاله السخيفة، وهي أَنَّ الْعِبَادَةَ خُضُوعٌ وَخُشُوعٌ خَاصٌّ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وفعلها بتلك الخصوصية لغيره تعالى تشريك له في العبادة وإن لم يسمَّ عبادة بل سُمِّي شفاععة، وسبأني بيان المناسبة بين العبادة والشفاعة ببعض معانيها المتصورة إن شاء الله تعالى.

والمغضوع الخاص فما جبل به الأشياء نكوينا يرشدنا إليه قوله تبارك وتعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِسَبِّحٍ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا

١- سورة المؤمنون - الآية ٨٨ - ٨٩.

٢- إن كنتم تعلمون ساقطة من الأصل.

تَقْفَهُونَ تُسَبِّحُهُمْ»^(١) وأيضاً له خضوع تشريعيّ بدّلنا عليه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) الخ وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٤) الخ إلى غير ذلك مما دلّ على تشريع كِبَفَةِ العبادة لله تعالى، والخضوع التَّكْوِينِي للأشياء ناشٍ عن علمها الفطريّ بأن المولى الحَقِيقِي [الَّذِي] بسنْحَقِ العبادة والخضوع التشريعيّ بالكِبَفَةِ الخاصّة يحتاج إلى معلّم معلّم العباد كِبَفَةِ العبادة لله تعالى، والنبيّ هو المنبَيّ عن الله، وأنّه المولى المستحقّ فقط للعبادة، ولا يستحقّها غيره، فيعبده المتعلّمون إما خوفاً من ناره، أو شوقاً إلى جنته، أو لكونه أهلاً لذلك كما نطق به أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته حيث قال: **وَاللهي مَا عَبْدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ، وَلَا شَوْقاً إِلَى جَنَّتِكَ، بَلْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لَذَلِكَ**^(٥).

١ - سورة الإسراء: الآية ٤٤

٢ - لا توجد هكذا آية في القرآن، ولكن يوجد قوله تعالى ﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

٣ - سورة قروم: الآية ٢٦.

٤ - سورة التَّوْبَةِ: الآية ١١٢.

٥ - علل الشرائع ص ٥٧.

بَنطَقُ الْعَقْلُ [بِل] اللَّهَ أَعْبَدُوا^(١)

وَلشَّمْسِ قَمَرٍ لَا تَسْجُدُوا

ذَا نَدَاءٍ لَمْ يَزَلْ مَرْتَفَعاً^(٢)

بِنَدَاءِ الْعَقْلِ جَمْعَ أَهْتَدُوا

أَيَقَنْتَ أَنْفُسُ جَمْعَ بِالنَّدَا^(٣)

وَبِظَلَمٍ وَعَتَوْ جَحَدُوا

قَلَدُوا أَسْلَافَهُمْ فِي مَنَكِرٍ

وَلثَلَاثٍ وَلْعَزَى سَجَدُوا



[من هو المستحق للعبادة]

وحاصل المقصود أن المعبود هو الله، ولا يستحق العبادة سواه؛
لانحصار موجباتها به وحده لا شريك له، فالعابد لغيره مشرك
ولو كان هواه أو ما يهواه. ولو كان محبوباً للإله فضلاً عن أن يكون
مخلوقاً لا وجاهة له عند الله كالخشبة المنحوتة أو الذهب المصوغ
بأي شكل ترضاه، والمخضوع بغير الكيفية المخصوصة للأكابر من
الأولياء لا يصدق عليه العبادة، ولو أطلق عليه لفظها كان إطلاقاً

١- ما بين المعقوفين ساقط من «س».

٢- هي «س» و «ن»: مرتفع، والصحيح ما أشتاء.

٣- هي «س»: النداء.

مجازياً أو توسعاً بمعنى جعل الخضوع لهم خضوعاً لله بغير الكيفية الخاصة لكون ذلك حباً لمحبوب الله تعالى وحب محبوب الله حب لله، وذلك واضح لمن تدبر وأنصف لا لمن عاند واعتسف.

تبصرة تذييلية:

جملة «العبودية جوهرية كنهها الربوبية» يجب أن يكون لها معنى معقولاً أرادته المتكلم بها سواء أذعنّا كونها من الأحاديث القدسية أم لا، وما يوثق من ظاهرها من أن العبودية موصلة للعبد بمقام الربوبية غير مراد قطعاً للزوم انقلاب الشيء إلى ضده، فيكون العبد مولى، وهذا خلف.

والمعنى المفعول أن يراد بها أن العبودية تجعل^(١) العبد واسطة لإيصال فيض التَّربية من الرب الأعلى إلى المربوبين، فيكون رتبة بالغير، وبذلك تصبر^(٢) له رتبة عالية لا ينالها من لم يحصل له مقام العبودية للرب الأعلى، وبذلك كان النبي المصطفى ﷺ أفضل من جميع الأنبياء العظام؛ لإحرازه مقام العبودية أولاً، وشرّف بلقب العبودية قبل الرسالة كما يسير إليه شهادة أن محمداً عبده ورسوله

١ - هي «س» و«ن» بحمل والأنسب ما ذكرناه.

٢ - هي «س» و«ن» بغير والأنسب ما ذكرناه.

حيث فذم العبودية على الرسالة، وعلى ذلك يتفرع تفضيل بعض الأنبياء على بعض، كما أنه يتفرع على ذلك ثبوت حق للعبد على الرب، فيصح أن يقال: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؛ لأنهم بالعبودية استحقوا التكريم والوجاهة عند الله وحبّه تعالى لهم ﷺ؛ وذلك لاقتضاء ذات العبودية لثبوت هذا الحق عليه، والموجب لذلك عليه تعالى هو نفسه جلّ جلاله وعظم شأنه وسلطانه ولا إله غيره؛ إذ لا موجب سواه.

ليس على خالق أرض وسما حق لمخلوق إليه ينتمى
إلا حقوق أوجب الفيض لها عليه من بذل الوجود العدم
تكريمه لعبده المنتجب حق له بفضل إختصاص

[أوجب تعظيم ما ينسب إلى المنتجبين]

وبتفرع على ذلك وجوب التعظيم والتكريم على الأنام لكل ما ينسب إلى ذلك العبد المنتجب كالإمام، بل عتبة داره وقبره والضيح الدائر حول قبره، وهذا الوجوب استحسان عقلائي عليه عامة أهل العرف في سيرهم وأعمالهم، وهذا مما لا شك فيه ولا شبهة نعتريه، ولنعم ما قيل:

أمر على جدار ديار ليلى
 أقبل ذا الجدارَ وذا الجدارا
 وما حبّ الديارِ شغفنَ قلبي
 ولكن حبُّ من سكَنَ الدُّبارا^(١)

[الأثار المترتبة على الإضافة التشريعية]

والعارفون بما عليه فاطمة العقلاء من حيث كونهم عقلاء في
 محاوراتهم، كثيراً ما يرتبون على الإضافة التشريعية أموراً كثيرة،
 في أمثال: بيت الله وكتاب الله ورسول الله في المحاورات كثيرة:
 كلها إضافة تشريعية فيقال نديم السلطان كاتب السلطان وأمين
 السلطان، ولا شك عندهم أن الإنسان محترم حياً وميتاً، وبدل
 على ذلك مضافاً إلى سيرة العقلاء جعل التغسيل والتكفين
 والتدفين في الشرع، وجريان أحكام الحياة على الأموات من
 الشجاج وقطع الأعضاء، وأحكام القبور من حرمة النّيش
 واستحباب تعليته عن الأرض وغيرها، وجعل العلامة لها، فإذا
 كان الإنسان مكرماً فكذلك أزداد له الشرافة والإضافة التشريعية
 بكونه نبي الله أو وليه أو حبيبه زاد احترامه واحترام ما ينسب

١ - البيتان ليسا من الملوّح العامري (مجنون ليلي) وهما من أغاني الأعلاني ١: ١٤٦ ط

إليه، والمنكر لذلك إما معاند لجوج أو مجامل لجوج.

بل نقول: إن المنكر لذلك منكر لما هو ضروري في الدين، فهو مرتد من الدين (ومن يرتد عن دينه فأولئك هم الكافرون)^(١) بشمله، فيجب أن يجري عليهم أحكام الارتداد، بل يجب إعدامهم لكونهم مؤسسين للفساد، ولا يختص رفع الفساد في الأرض بالمسلمين، بل يجب على عامة العباد.

إذا عرفت ما نلونا عليك فاعلم أن مراده من أول مقاله بعد التسمية بقوله: «اعلم يرحمك» إلى آخر كلامه أن التوحيد عبارة عن إفراد الله تعالى وتخصيصه بالعبادة، فلا يشرك في عبادته أحد، فكل من أشرك أحداً في العبادة مع الله فهو مشرك يجب قتاله، كما قاتل النبي ﷺ المشركين لذلك مع كونهم قاتلين بالله الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، ويوضح أن هذا خلاصة مقالته التي يشبر إليها بعد ذلك، وأنت عرفت مما ذكرنا أن العبادة بالمعنى المذكور في المقدمة مختصة بالله تعالى، لكن ما ذكره من اختصاص التوحيد بذلك، وكون التوحيد الذي قاتل [عليه] النبي ﷺ المشركين مختصاً بالتوحيد في العبادة باطل لا ينبغي صدوره عن العاقل؛ لأن التوحيد للذات أعلى وأشرف ما يتحقق به التوحيد، بل ليس

١- اطر الآيه : ٣٠ من سورة التوبة.

أحد موحداً إلا باعتماد في مقامات أربع : توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وتوحيد العبادة ، وسيجيء زيادة بيان لذلك إن شاء الله تعالى .

هذا مضافاً [إلى] أن النبي ﷺ لم يقاتل المشركين في العبادة وحدهم ، بل قاتل المجوس الفائلين بالنور والظلمة ، واليهود الفائلين بأن عزيراً ابن الله ^(١) ، والنصارى القائلين بالأفانيم الثلاثة ، ومشركي العرب القائلين بأن أوثانهم آلهة ، والذهريّة المنكرين للصانع ، القائلين بأنه لا يهلكنا إلا الدهر ^(٢) إلى غير ذلك من أقسام المشركين وعبدّة الكواكب ^(٣) والشمس والقمر ، فلبس الشرك منحصرأ بالشرك في العبادة ، ولم يكن مقابلته النبي ﷺ مختصة بهم .



ثم إن المشار إليه بقوله : « ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله » غير مفهوم لنا ، بل لا يتصور له معنى ، لأن المشار إليه بالاعتقاد لابد أن يكون هو الاعتقاد بوساطة المخلوق بين العبد وخالقه ، وليس فيما ^(٤) أشار إليه في كلامه ما يناسب للاعتقاد

١ - انظر الآية ٢٠ من سورة النوبة

٢ - انظر الآية ٢٤ من سورة الحاثية .

٣ - في النسخة الكوكب والصحيح ما ذكرناه .

٤ - هي السحتين ما والصواب ما ذكرناه .

المذكور، ويكون حقاً لله محضاً؛ لأن معنى كونه حقاً لله أن يعتقد ذلك لله، ولا يمكن ذلك بالنسبة إلى الله؛ فإن الوساطة بين إثنين إنما تكون^(١) بثالث، فلا تكون الوساطة لله بين نفسه وعبده.

والحاصل أن الاعتقاد بالوساطة ليس حقاً لله، فيكون عطف الاعتقاد على التقرب وجعله حقاً لله باطلاً.

فإن قلت: كيف يتصور كون الشفاعة لله وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾^(٢).

قلت: معنى كون الشفاعة لله أن الشفاعة لا تكون^(٣) لأحد إلا بإذن من الله له، والوساطة بهذا المعنى أيضاً حق له تعالى، ونحن نقول به بمعنى أن الوساطة بين العبد وخالقه للمخلوق لا بد أن تكون بإذن منه تعالى، وهي بهذا المعنى عين الشفاعة ومحض له تعالى فلا يجوز أن يجعل أحد واسطة عنده إلا بإذنه، فيكون مأذوناً في الوساطة والشفاعة، فيكون الاستشفاع مأذوناً فيه، بل مأموراً به لقوله تعالى لنبيه: ﴿فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

١- هي السحرة، يكون والاتسب ما ذكرناه.

٢- سورة الرعد، الآية ٤٤.

٣- في الأصل: يكون، والصحيح ما أئتمناه.

٤- سورة التور الآية ٦٢.

وَالْمُؤْمِنَاتِ^(١) وَغَيْرِهِنَّ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا يَكُنْ أَنْ يَأْذَنَ فِي
الشفاعة له وللأئمة من ذريته بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٢) وَيَعْنَا عَنْ الْاسْتِشْفَاعِ
بِهِمْ، بَلْ بَدَلَ قَوْلَهُ نَعَالِي: ﴿وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ﴾^(٣) [عَلَى]
أَمْرِنَا بِالْاسْتِشْفَاعِ.

وعلى هذا نفول: الاستشفاع بالأصنام لس ما ذونا فيه،
بخلاف الاستشفاع بالأنبياء والأولياء؛ فإنه أمر مأذون فيه،
مرغوب إليه؛ فلا يكون شركاً. وسبجيء زيادة تحقيق ونوضح
لذلك إن شاء الله تعالى.

ثم قال: «إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مَفْرُونٌ بِهَذَا، وَلَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي
التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي
جَعَلُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذِي بِسَمِّهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا:
الاعتماد، كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو
الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو
رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى ﷺ وعرفت أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشَّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ

١ - سورة محمد ﷺ، الآية ١٩

٢ - سورة الطور الآية ٢١.

٣ - سورة المائدة، الآية ٢٥

العبادة لله كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾^(٢) انتهى محل الحاجة.

أقول: خلاصة مقصود المستدل بالآيات أن الكفار والمشركين كانوا مقرين بالله تعالى، وكونه رب السماوات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء، لكن لم يكن ذلك توحيداً دعاهم النبي ﷺ لعدم الحاجة إلى الدعوة إلى ما هم مقررون به، فلزم أن يكون المدعو إليه من التوحيد هو التوحيد في العبادة؛ بأن لا يدعوا^(٣) غير الله تعالى، ونكون عبادتهم خالصة لوجه الله تعالى، وحيث إنهم أنكروا عليه ﷺ؛ فمنهم من أشرك الملائكة معه، ومنهم من أشرك رجلاً صالحاً كالألوات، ومنهم من أشرك نبياً مثل عيسى عليه السلام فأنلهم النبي على ذلك، وكانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٤) كما يقول به المشركون في هذا الزمان، فكما عاملهم النبي ﷺ بالقتال والقتال لأجل جعلهم هؤلاء شفعاء، ولم يكونوا من أهل التوحيد، مع الإقرار بالله وكانوا مشركين لأجل

١- سورة البقرة: الآية ٢١٨.

٢- سورة الرعد: الآية ١٦ وفي الأصل، فلا والصحيح ما أنشأه.

٣- في الأصل يدعون والصحيح ما ذكرناه.

٤- سورة نونس، الآية ٢٨.

نشر بكمهم هؤلاء به تعالى في العباد، فكذلك يكون حال كل من
أستشفع عند الله بأحد من الأنبياء؛ فإنه مشرك بحجب المعاملة معه
معاملة المشركين.

هذا خلاصة كلامهم. لكن الآيات المذكورة غير دالة على
مراهم، وذلك لأن الاستفهام في الآيات المذكورة تفريري،
وبنزع على إقرارهم بطلان عملهم ولوازمه، فيكون حاصل
الكلام المنفزع على إقرارهم بأن الله رب السماوات والأرض،
وبنده ملكوت كل شيء، أنه أي منزلة هؤلاء الآلهة التي تدعونهم.
وأي شيء يصدر عنهم مما هو من شأن الألوهية، يعني إذا كان رب
السماوات والأرض هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا
يجار عليه، فلا يصدر من غير شيء من هذه الأمور، ومع عدم
حصول شيء [من] غيره؛ فكيف يجعلون هؤلاء آلهة، وكيف
توسلون بشيء لا يملك نفعاً ولا ضرراً، وكيف تستشفعون بمن لا
وجاهة له عند الله؟! فإن الاستشفاع بشيء يتوقف على كونه قابلاً
لها بكونه وجهاً محترماً عند المستشفع إليه، فكون تسمية هؤلاء
آلهة خطأ وباطلاً، وجعلهم شفعاء خطأ وباطلاً، والتعظيم والخضوع
لهم خطأ وباطلاً؛ لعدم الموجب لذلك لهم؛ لأن الموجب للتعظيم
والتكريم الانسحاب إلى الله نحو من الأنحاء من نبوة أو ولاية أو
صلاح، والخشبة المنحوتة أو الذهب المصوغ بشكل مرضي لا

انتساب إلى الله بنحو من الانحاء المذكورة، فتكريمهم خطأ وباطل، والخضوع لهم بما لا يستحقه غير الله تعالى خطأ وباطل. وعلى هذا فعل النبي ﷺ مع هؤلاء المشركين بالمقاتلة إنما هو لكونهم مرتكبين للخطايا والأباطيل، وليس شيء منها فيما عليه المسلمون المرميون بالشرك عند هؤلاء الجماعة المستدلّين بهذه الآيات من الاستشفاع بالأنبياء والأئمة عليهم السلام واللّو [١] ذ بقبورهم، والاستغانة بهم في السدائد، وسيأتي زيادة بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

ثم قوله: «التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسمّونه المشركون في زماننا اعتقاده» الخ كلام لا يفهم معناه، بل لا يحصل له؛ إذ المشركون في زمن النبي ﷺ من عبدة الأوثان المفرون بالله تعالى وجحدهم توحيد العبادة غير ملازم لكون توحيد المشركين في زمانهم بزعمهم جحداً لتوحيد العبادة، بعد عدم عبادتهم وخضوعهم لأحد من الأنبياء والأولياء بكيفية العبادة والخضوع لله تعالى، وتسميّة الاستشفاع بهم عبادة لهم غلط واضح؛ لأنّ التوسّل بالتشفيع لأجل الشفاعة لبس عبادة له، بل إظهار لوجهاتهم عند الله، ولا بمائلة بين استشفاع عبدة الأوثان والمشركين^(١) في زمان النبي ﷺ، واستشفاع المستشفعين بالأنبياء

١- في «س» و«ن» المشركون والصواب ما أنشأه

والأولياء حيث إن عبدة الأوثان كانوا يعملون من أصناف العبادة
 لله ما يعملون للأصنام، ويجعلون الصنم معبوداً ليقبل الله عبادتهم
 ولم يكن لهم عبادة مخصوصة لله تعالى، واستشفاعاً بالأوثان،
 وهذا بخلاف استشفاع المستشفعين بالأنبياء والأولياء؛ فإن
 عباداتهم كلها لله، والاستشفاع كالاستغفار للعفو عن الذنوب.
 وأين هذا من ذاك؟ وقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا
 لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
 انْتَبِهُوا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ولا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه
 وتعالى عما تشركون^(١) صريح في ذم عبدة الأوثان بتركهم
 عبادة الله، وعبادتهم الأوثان، وتسميتهم لها شفعاء، وجعلهم من
 لا يستحق العبادة معبوداً لعبادة لا يستحقها غير الله تعالى، وهذا
 العمل تشريك منهم لله جل وعز، وهو لا يعلم لنفسه شريكاً في
 السماوات ولا في الأرض.

والحاصل أن عبدة الأوثان لم يكونوا عابدين لله، بل كانوا
 يعبدون الأصنام زعماً منهم عدم قابليتهم لعبادة الله، فكانوا
 يعبدون الأوثان؛ ليشفعوا لهم عند الله، فتتضي مهماتهم
 وحوائجهم، ولا مناسبة بين ذلك وبين الاستشفاع بالأنبياء

١- سورة يونس الآية ١٨.

والأولياء كما لا يخفى، مع أنَّ الاستشفاع من أمور لا تجوز إلا بإذن من الله تعالى عموماً أو خصوصاً، فالاستشفاع بمن لم يأذن الله جعله سفيحاً باطلاً وحرام يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢) فَإِنَّ عَدَمَ شَفَاعَةِ الشَّفَعَاءِ إِلَّا بِالْإِذْنِ فِي الشَّفَاعَةِ يَسْتَلْزِمُ لَزُومَ الْإِسْتِشْفَاعِ فِي الْإِسْتِشْفَاعِ لِلْمُسْتَشْفَعِينَ وَمَنْ يُسْتَشْفَعُ بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ شَفِيعاً مِنْ قَبْلِ اللَّهِ لَا يَسْتَشْفَعُ بِهِ لَكُونِهِ غَيْرَ مَأْذُونٍ فِيهِ.

ويقرر آخر لا يُشْفَعُ^(٣) أحد عند أحد أحداً ما لم يعلم أو يظن كونه مقبول الشفاعة، فمن يمكن معرفته كونه كذلك كالمفربين عند السلاطين والأكابر والمختصين من أصحاب العلماء يستشفع به، لدلالة هذا الموقف على جواز الاستشفاع به وذلك أمر عفلائي ومن لم يعرف هذا الوصف، فلا دليل على حواز الاستشفاع به بل بعد التوسل والاستشفاع به لغواً وباطلاً لا يعدم عليه إلا السفيه والعايب.

وحينئذ فنقول: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ حَيْثُ إِنَّهُ مَعْلُومٌ كُونُهُ

١- سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٢- سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٣- هي الأصل يستشفع، والصحيح ما أنشأه.

مقبول السفاة عند الله جاز الوسل بهم، وأما الخشب المنحوت والذهب المصوغ بشكل نبي أو ملك أو رجل صالح فلم يعلم كونه مقبول السفاة بل المعلوم عدمه، فكيف يجعل شفعاً عند الله؟ ولأجل ذلك أمر الله تعالى رسوله الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ أَشْتَبِقُونَ اللَّهَ بما لا يَعْلَمُ في السماوات والأرض﴾^(١) يعني هل تخبرون الله العالم بكل الأنبياء بما ليس في السماوات والأرض.

وحاصل الكلام أن الشريك لله تعالى ليس في السماوات والأرض حتى يعلمه، وشفيع يقبل شهادته عند الله بما لا يضر ولا ينفع أيضاً ليس في السماوات والأرض حتى يعلمه الله تعالى، فقولهم: هؤلاء شفعائنا عند الله شيء ينبتون الله بما لا يعلم في السماوات والأرض.



ثم إن الظاهر أن مراده بالمشركين في زماننا هم المستشفعون بالأنبياء والأولياء، العائذون بهم، اللائذون بغيرهم، والمستغيبون^(٢) بهم في الشدائد، لكن لم يعلم أن المشار إليه بالضمير في «يسميه» هل هو جحد التوحيد في العبادة أو غيره؟ فإن كان مرجع الضمير هو جحد التوحيد في العبادة فهو - مع أنه غير قابل لتسمينه اعتقاداً، فإن الإنكار أمر عديم لا يصح أن يجعل من

١- سورة يونس، الآية ١٨

٢- في الأصل المستغيبين العائذين، المستغيبين والصحيح ما أتبناه.

قبيل الاعتقاد الذي هو وجودي - كذب صريح ، فإن أحداً ممن
يسنسفع بالأنبياء والأولياء لم يجحد التوحيد في العبادة حتى أنهم
جعلوا عبادة المرائي باطلّة بعدم الخلوص فكيف يستؤمن شيئاً لم
يقولوا به اعتقاداً ، وإن كان مرجع الضمير غير جحد التوحيد في
العبادة ؛ فليس في الكلام ما يدلّ عليه .

والحاصل أنّي لم أستفد من هذه العبارة معنى متصوراً معقولاً ،
لكنك عرفت ممّا تقدّم أن قوله : « عرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم
على هذا الشرك ودعاهم إلى الإخلاص » تخصيص لا دليل عليه ؛
لاشتغال أفعالهم على خطايا أربع كلّها أباطيل ؛ فلا دليل على
اختصاص فعل النبي ﷺ ومقاتلة رسول الله معهم بخصوص أحد
الخطايا والأباطيل ، ولو فرضنا الاختصاص فهو بالنسبة إلى عبدة
الأوثان ، فلا ربط له بالمستشفعين بالأنبياء والأولياء والداعين لهم
للساطة والشفاعة ، من غير أن يجعلوهم معبوداً يعبدونهم بما
يعبدون الله به وخضوعهم لهم يغير تلك الكيفية ليس بعبادة لهم ،
بل هو تعظيم وتكريم لهم باعتبار أنتسابهم إلى الله بالاضافة
التشريفيّة .

ثم قال : « وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم لتكون الطاعة
كلّها لله ، والنذر كلّهُ لله ، والدّبح كلّهُ لله ، والاستثناء كلّهُ لله ،
وجميع انواع العبادات لله ، وعرفت أن إفراهم بنوحيد الربوبية

لم يدخلهم في الإسلام، وأنّ فصدّهم السلائكة والأنبياء
يربدون شفاعتهم والتقرّب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم
وأموالهم، عرفت حيثنّذ التوحيد الذي دعت إليه الرّسل وأبى
عن الإقرار به المشركون.

أقول: خلاصة مقصود الفائل أنّ النبيّ قال الكفّار لكون
دعائهم ونذرهم وذبحهم لغير الله تعالى، ولستغاثتهم وعباداتهم
لغيره تعالى، ودعاهم إلى فعل ذلك كلّه خالصاً لوجهه الكريم،
فانكروا عليه فقاتلهم ليردّهم عن ذلك إلى أن يكون كل ذلك لله،
وفصدّهم في هذه الأعمال للسلائكة أو الأنبياء أو الأولياء للشفاعة
عند الله عزّ وجلّ والتقرّب به لم يدخلهم في الإسلام بل أحلّ
دماءهم وأموالهم للمسلمين، يربد بهذا البيان تأكيد ما ذكره من
أنّ النبيّ ﷺ إنّما كان يدعو المشركين المفرّين بالله إلى التوحيد في
العبادة. انتهى خلاصة المرام.

لكن غير خفي على المندبّر الخبير والمندربّ البصير أنّ دعوة
النبيّ ﷺ لهؤلاء المشركين إلى التوحيد في العبادة غير منافع
لدعوتهم إلى وحدة الذّات والإقرار بكون الله تعالى خالق
السموات والأرض، ويده ملكوت كلّ شيء، بعد جعل الشريك له
في العبادة دليل على فصورهم عن معرفة وحدة الحقّ بالذات؛ فإنّ
العارف بذلك لا يمكن أن يسمّى غيره كائناً ما كان إلهاً، ولا يمكن

أن يستشفع بغيره للقرب إليه كما قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعائه: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك واستشفع بك إلى نفسك الخ»^(١) ولا يمكن أن يعبد غيره بالكيفية الخاصة به، وعلى هذا كان دعوة النبي ﷺ لهم إلى معرفة حقيقة التوحيد الذاتي لا خصوص التوحيد بالعبادة، فأنكروا عليه ذلك «وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب»^(٢) وأيضاً قالوا: «امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في العلة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» بل كانوا شاكين في وجود الله الواحد حيث قالوا الصالح (عليه السلام) حين قال لهم: «يا قوم اعبدوا الله مالهكم من إله غيره هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها»^(٣) «يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يفتقد أبائنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب»^(٤) مضافاً إلى أن الحاق المستشفعين بالأنبياء والأولياء واللائذين بقبورهم بالمشركين في زمن النبي ﷺ لا دليل عليه حتى القياس الممنوع؛ لأنهم مع استشفاعهم بالأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وقبورهم مفترّون

١ - اطلع دعاء كميل في معاني الجنان

٢ - سورة ص: الآية ٥.

٣ - سورة هود: الآية ٦١

٤ - سورة هود: الآية ٦٢.

بالتوحيد الذاتي والأوصافي والأفعالي والعبادي حتى أنهم حكموا
ببطلان عبادات المرائي كما أشرنا إليه آنفاً، فكيف بلحفونهم
بهؤلاء الثابت عليهم الخطأ والباطل في المقامات الأربعة المتقدمة،
وعدم اعتقادهم بالتوحيد في شيء من أقسام التوحيد.

وفي قوله: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتِلُهُمْ لَنَكُونُ الطَّاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ،
وَالنَّذْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحَ كُلَّهُ لِلَّهِ» إشارة إلى أَنَّ المشركين في زمانهم
ينذرون ويذبحون لغير الله، ويستشفعون بغيره، فيجب فتاهم كما
فعل النبي ﷺ ذلك بالمشركين في زمنه، لأجل فعلهم الأفعال
لغير الله، لكن ذلك - بالنسبة إلى من يعتقدونه^(١) مشركاً في
زمانهم - كذب واضح؛ إذ ليس أحد من المسلمين ينذر لغير الله أو
يذبح لغيره تعالى، مثلاً من أراد ولداً وطلبه من الله يقول: «اللَّهُ عَلَى
صَوْمِ كَذَا أَوْ صَدَقَةِ كَذَا إِنَّ رِزْقِي وَلَدًا»، وكذا يقولون: «اللَّهُ عَلَى ذَبْحِ
شاةٍ إِنَّ رِزْقِي وَلَدًا»، والذَّبْحُ في الحج والأضحية لعلوم أنه لله، أما
نذر الذَّبْحِ لحضرة العباس عليه السلام المتداول بين عوام الناس؛ فهو أيضاً
ذبح لله، وإن كان تعبيرهم فاصراً عن مقصودهم؛ فإن مقصود
التأذير كذلك النذر لله على أن يذبح ويتصدق به ليكون ثوابه
راجعاً إليه ﷻ، فيكون هدبة تهدي لكون قضاء حاجته بشفاعته

١ - من الأصل يعتقدونه، والصحيح ما ذكرناه.

له عند الله في تلك الحاجة.

والحاصل أَنَّ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لَا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ كَلَهُ إِلَّا اللَّهُ مُعْتَفِداً كَوْنَهُمْ وَاسْطَةً لَفِيضِهِ، [و] رابطة بين العبد وربّه بإذن من الله لهم في ذلك، قال الله تعالى: ﴿لِي بَيِّنَاتٍ لِّأَنَّ اللَّهَ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ يَسْبُحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْنَافِ رِجَالًا لَا يُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) الخ المفسر على ما في تفسير الثعلبي بما رواه عن أبان بن تغلب عن بقيق بن حارث عن أنس بن مالك وبريدة عن النبي ﷺ أَنَّهُ ﷺ سئل لِمَا خُفِرَ الْآيَةُ: أَيَّ بَيِّنَاتٍ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ؟ فَقَالَ: بَيِّنَاتُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَفَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ عَلِيٍّ ﷺ وَفَاطِمَةَ ﷺ مِنْهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ مِنْ أَفْضَلِهَا^(٢). وقوله ﷺ: «مَنْ أَفْضَلُهَا» دَالٌّ عَلَى مَا حَقَّقْنَاهُ فِي تَرْجُحِ [الـ] زِيَارَةِ الْجَامِعَةِ مِنْ أَنَّ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ بَيْتُ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَيِّنَاتُ النَّبِيِّينَ مِنْ فُرُوعِهِ، وَأَفْضَلِيَّةُ بَيْتِ عَلِيٍّ ﷺ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا نَدَلَ عَلَيْهِ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ: حَبِيبٌ جَعَلَ ﷺ عَلِيًّا ﷺ دَاخِلًا فِي «أَنْفُسِنَا»^(٣) وَلِذَلِكَ قُلْتُ فِي ذَلِكَ:

١ - سورة البقرة: الأيتان ٣٦ - ٣٧.

٢ - الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية ح ٥، ص ٩١، ط ١، بيروت.

٣ - سورة آل عمران: الآية ٦١.

بيت آل المصطفى مذبذبا
 أُذِنَ لَهِ أَنْ يُرْفَعَ
 لَيْسَ رَفْعُ الْبَيْتِ مِنْ بَنِيهِ
 هُوَ شَأْنٌ مِنْ شُؤُونِ الرُّفْعَا
 رَفَعَهُ مِنْ ذَكَرَ اسْمِ اللَّهِ فِيهِ
 مِنْ رَجَالٍ خَشَعَ وَالرُّكْعَا
 لَيْسَ يَلْهِيهِمْ عَنِ الذِّكْرِ هَوَى
 نَفْسِهِمْ مِنْ نَاجِرٍ أَوْ بَيْعَا
 مِنْ شُؤُونِ الذِّكْرِ لَهُ أَنْ يَجْعَلُوا
 رَبُّ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَبْدًا شَافِعَا

فقد تحقق لك مما ذكرت أن المشركين لم يكونوا مقرين بتوحيد
 الربوبية حتى يدخلهم ذلك في الإسلام؛ لأن توحيد الربوبية لا
 يجتمع مع الشرك لسائر مقامات التوحيد. وعلمت أن أسنفاع
 المشركين بالهتهم غير قابل للقياس على أسنفاع المسنفعين
 بالأنبياء والأولياء عليهم السلام.

[في بيان معنى التوحيد]

ثم قال القائل: «هذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله؛
 فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان

ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنياً، لم يربدوا أنَّ الإله هو الخالق الرَّزاق المدبِّر، فإنَّهم يعلمون أنَّ ذلك الله وحده كما قدَّمت لك، وإنَّما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السَّيد، فأناهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد؛ وهي لا إله إلاَّ الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفَّار الجهال يعلمون أنَّ مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة أفراد الله تعالى بالتعلُّق، والكفر بما يعبدون دونه، فإنَّه ﷺ لما قال لهم: فولوا لا إله إلاَّ الله قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب﴾^(١).

أقول: خلاصة مرامه بما يظهر من ظاهر كلامه أنَّ الكفَّار في زمن النبي ﷺ كانوا مقرِّين بأنَّ الخالق الرَّزاق المدبِّر هو الله وحده، وإنَّما كانوا نفصدون من الآلهة التي كانوا يعبدونها كائناتاً ما كان الأمور. ومعنى لا إله إلاَّ الله الذي دعاهم ﷺ إليه هو ترك طلب هذه الأمور من هذه الآلهة وأمرهم بطلب كلِّ شيء من الله الذي لا إله إلاَّ هو. وهذا هو المراد من «لا إله إلاَّ الله» وكلمة التوحيد.

لكن قد عرفت أنَّ المشركين في زمن النبي ﷺ لم يكونوا موحدن مع إفرارهم بأنَّ الله تعالى هو خالق السماوات والأرض.

١- سورة ص: الآية ٥.

وبيده كل شيء» (وهو يجبر ولا يجار عليه) وكانوا يقولون
«أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا» وقوم صالح كانوا يقولون «إِنَّا لَفِي شَكٍّ
مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» ولو كانوا موحدين لما نكلوا بهذا
الكلام، ولا كانوا مرابين فيما بدعوههم إليه صالح.

وأما قوله: «إِنَّمَا يَعْنُونَ بِالْآلِهَةِ مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا
بلفظ السَّيِّدِ» فكلام لا محصل له؛ فَإِنَّ لَفْظَ السَّيِّدِ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ فِي
زَمَانِنَا بِاعْتِقَادِهِمْ عِبَارَةً عَنْ شَخْصٍ مُحْتَرَمٍ يَنْزِلُوهُ مِنْزِلَةَ مَا لَكَ
الْعَبْدُ فِي كَوْنِهِ تَحْتَ إِطَاعَتِهِ، وَإِطْلَاقُ السَّيِّدِ عَلَى اللَّهِ يَرَادُ بِهِ الْمَالِكُ
الْحَقِيقِيُّ لَا الْمَالِكُ التَّنْزِيلِيُّ الْمُسْتَعْمَلُ فِي إِطْلَاقِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ إِطْلَاقُ سَيِّدِ السَّادَاتِ عَلَى اللَّهِ فِي
الْمُنَاجَاةِ دُونَ غَيْرِهِ تَعَالَى، فَيُقَالُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ
لِللَّهِ ﷺ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَلَا يُقَالُ: يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

والحاصل أَنَّ الْمُسْتَشْفِعِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَاللَّاظِنِينَ
بِفُيُورِهِمُ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمُ السَّيِّدُ لَا يَرِيدُونَ بِهِ إِلَّا اللَّهَ فِي مِثْقَالِ اللَّهِ
تَعَالَى كَمَا كَانَ ذَلِكَ حَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِذَلِكَ
دَعَاهُمْ تَعَالَى إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمُرَادُ بِهَا
مَعْنَاهَا لَا لَفْظًا.

وقوله: «وَالْكَفَّارُ الْجَهَالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ أَفْرَادُ

الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبدون دونه ، معللاً بقولهم : ﴿أَجْعَلِ
الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لا يستحقون الطعن عليهم فيها فهموا من
قوله ﷺ : فَإِنْ اسْتَفَادْتُمْ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿قُولُوا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا
اللَّهُ اسْتِفَادَةً حَسَنَةً جَدًّا ، وعدم قبولهم هذا المعنى بدليل قولهم :
﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ دليل على شركهم الذي أوجب حليّة
قتلهم ونهبهم ، ونسبة الجهل إلى المسلمين - لهذا المعنى الذي عرفه
الكفار الجهّال وأعتقداهم كون المراد منه التلغظ بمحرفها من غير
أعتقاد القلب بشيء من معناها - نسبة كذب وقرية ، وقولهم
بإستحقاق الثواب بالتلفظ بها أمر خارج عن لزوم الاعتقاد
بمعناها الذي هو التوحيد في تمام المقامات المذكورة .

وكذا قوله : «والحاذق منهم يظنّ معناها لا يخلق ولا يرزق
ولا يدبّر الأمر إلا الله» كذب وقرية : إذ الحذاق منهم يقول : لا مؤثر
في الوجود إلا الله بل يقول : كان الله ولم يكن معه شيء ، والعارف به
لا يرى غير الله تعالى ويقول : هو الآن كما كان .

ومما ذكرنا من مجموع ما تقدّم علمت أنّ القائل لهذه الكلمات
جعل الموحّد الحقيقيّ مشركاً والشرك الحقيقىّ توحيداً لزعمه بأنّ
قول عابدي الأصنام : الله خالق السماوات والأرض مع قولهم :
هؤلاء سقعاؤنا عند الله يجعلهم موحّدين^(١) ، وكونهم مشركين

١ - في الأصل : موحّد ، والصحيح ما ذكرناه .

باعينار جعلهم الأصنام شفعاء، وفساده ظاهر؛ فهو إما جاهل فناصر أو عدو قاهر ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(١).

قُلْ لِمَنْ كَفَرَ مِنْ فَقْدِ الْبَصَرِ مسلماً أسلمه خير البشر
سَأْرَاكَ فِي غَدٍ مُرْتَعِشاً قابلاً مِنْ فزع: أين المفر؟
وترى ذاك الَّذِي كَفَرَنِي فِي نعيم مستمرٍّ مستقرٍّ
فانثلاً يَا أَحْمَقاً كَفَرْتَنِي دُقْ هيناً لك ذا مَسٍّ سَقَرٍّ

[فوائد معرفة معنى التوحيد]

ثم قال: «إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشُّرك الَّذِي قال الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) وعرفت دين الله الَّذِي أُرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وعرفت ما احتج غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾^(٣).

١ - سورة الشعراء الآية ٢٢٧

٢ - سورة النساء الآية ١١٦.

٣ - سورة الأعراف الآية ١٢٨.

وأفادك أيضاً الخوف العظيم؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد بقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد بقولها ويظن أنها تقرّبه إلى الله تعالى كما ظن الكفار، خصوصاً أن ألهمك الله ما قض عن قوم موسى - مع صلاحهم وعلمهم - أنهم أتوه فائلين: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^(١) وجنّذ بعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله انتهى.

أقول: وخلاصة مراده - مع طول كلامه - أنك إذا عرفت بالصديق القلبي أن الشرك هو العبادة لغير الله، وعرفت أن الذنب هو العبادة المخالصة له تعالى، واجتنبت الشرك الذي هو ذنب لا يغفر، صرت بمن يفرح بفضل الله ورحمته؛ حيث جعلت عبادتك خالصة لله ولم تشرك أحداً معه تعالى فيها، وصرت متديناً بدين أرسل به الرسل، ويحصل لك خوف من أن تنطق بكلام يوجب الكفر جهلاً أو ظناً بكونه مقرباً إلى الله تعالى كما يفعله الكفار هذا حاصل مراده.

لكنك عرفت مما قدمنا فساد كلامه؛ فإن الشرك الثابت لعبدة الأصنام لم يكن شركاً في العبادة بل كانوا مشركين بهام مقامات

١ - سورة يونس: الآية ٥٨.

التوحيد، بل ما استدل به من آية ﴿أَجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ دليل على التزامهم بإمكان تعدد الآلهة بل وفوعه، وعلمت عدم شباهة ما عليه المستشفعون بالأنبياء والإولياء واللائذون بسقورهم للاستشفاع الذي كان بقول به عبدة الأصنام بمولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وعرفت أن الذين الذين أتى به الرسول ﷺ هو الاعتقاد بالتوحيد، وحقيقة معنى لا إله إلا الله الغير الحاصل إلا باعتقاد التوحيد في المقامات الأربع، وعرفت أن التوحيد ليس عبارة عن التلطف بلا إله إلا الله، ولا يراد منه أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله.

ثم إن الفرح ليس فائدة لما قاله القائل: من حيث إن المعرفة والاعتقاد القلبي، بمفالاته حاصل له بفضل الله ورحمته، فإن ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢) حيث يزعمون أن ما^(٣) عندهم بفضل الله ورحمته، وكذلك الخوف حاصل لكل من لا يعلم عاقبة أمره حتى أن يوسف عليه السلام يقول: ﴿تَوَقَّني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾^(٤) هذا مع أن الكلمة الصادرة الموجبة للكفر جهلاً

١ - سورة يونس، الآية ١٨.

٢ - سورة المؤمنون الآية ٥٣ والروم: ٢٢.

٣ - في الأصل: مقار. والصحيح ما ذكرناه.

٤ - سورة آل عمران، الآية ٦٧.

غير قابلة للخوف منها فضلاً عن الكلمة التي يظن كونها مقربة ،
والاستشهاد بكلام قوم موسى - حيث قالوا : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما
لهم آلهة ﴾ - في غير محله : فإنه لم يصدر عنهم ذلك تعنتاً ، بل زعماً
منهم أن ذلك طريق مرضي . والذم المترتب على طلبهم إنما هو على
التقليد في الاعتقاد مع كونهم في سبيل الانقياد .

وبعبارة أخرى توبيخهم إنما هو على التكلم بغير تأمل في
حسنه وقبحه ، على كونهم وصيورتهم كفاراً بذلك ، بمعنى أنهم
كانوا مع إسلامهم وإيمانهم ملومين : لتكلمهم بكلام لا ينبغي أن
يصدر عن مثلهم ، بسبب عدم التأمل في حسنه وقبحه ، وهذا
واضح لمن له أدنى إدراك ينجيه من الهلاك .

كُلَّمَا قُلْتَ بَزَعْمٍ فَاسِدٍ بِاطِلَ نِسْمَةٌ مِنْ حَاسِدٍ
ثَرَكَ الرُّشْدَ وَأَمْرًا رَابِحًا صَارَ فَرَحَانًا يَشْغُلُ كَاسِدٍ
نَسْتَعِذُّ بِالْإِلَهِ الْأَحَدِ مِنْ دُوعَيْنِ بِلِسَانٍ جَاوِدٍ

[في وجوب التسليح بالعلم لمواجهة أعداء الله]
ثم قال القائل : «واعلم أن الله تعالى لم يبعث من حكمته نبياً
بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا
لكل نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض

زخرف القول غُرُوراً^(١) وقد يكون لأعداء الذين علوم كثيرة
وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم﴾^(٢).

إذا عرفت ذلك وعرفت أنّ الطريق إلى الله لا بد له من أعداء
قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن
تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين
الذين قال: إمامهم ومقدمهم لرَبِّكَ: ﴿لأقعدن لهم صراطك
للمستقيم ثم لأتيتهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن أيمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾^(٣) ولكنك إن أقبلت
على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيّناته فلا تخف ولا تحزن ﴿إنّ
كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾^(٤) والعائني من الموحّدين يغلب
ألناً من علماء هؤلاء المشركين كما قال الله تعالى: ﴿وإنّ جنودنا
لهم الغالبون﴾^(٥) فجنّد الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم
الغالبون بالسيف والسنان، وإتّما الخوف على الموحّد الذي

١- سورة الانعام: الآية ١١٢.

٢- سورة عامر: الآية ٨٣.

٣- سورة الاحزاب: الآية ١٦.

٤- سورة النساء: الآية ٧٦.

٥- سورة الصافات: الآية ١٧٣.

بذلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه
 السّذي جعله : ﴿تعبيداً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
 للمسلمين﴾^(١) فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما
 ينفضها ويبيّن بطلانها كما قال الله تعالى : ﴿ولا يأتونك بمثل إلا
 جفناك بالحقّ وأحسن تفسيراً﴾^(٢) قال بعض المفسّرين : هذه
 الآية عامّة في كلّ حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة ،
 وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتجّ به
 المشركون في زماننا علينا انتهى .

وحاصل مراده - مع طول كلامه - أنّ الأنبياء السالّكين سبيل
 النوحيد سلّكوا طريق الحقّ ، وكان لهم أعداء علماء ؛ وعندهم حجج
 وبيّنات على ما عندهم ، وكانوا مغلوبين للأنبياء بحججهم الحقّة
 وبيّناتهم الدافعة لحججهم ، وكانوا غالبيين عليهم بالحجج ؛ لكونهم
 جند الله ، فكذلك كلّ من يكون موحداً يسلك سبيل الحقّ له أعداء
 من هؤلاء المشركين في زماننا وعندهم حجج يّطلّها ما في كتاب
 الله لكونه تبياناً لإبطال كلّ باطل من الحجج . ونذكر من الكتاب
 ما أجاب الله تعالى من حجج المشركين في زماننا بعد ذكر حججهم .
 هذا خلاصة مراده ، وهو كلام حقّ يريد به الباطل كما سنبيّن

١ - سورة النحل ، الآية ٨٩ .

٢ - سورة الفرقان : الآية ٣٣ .

ونوضّحه إن شاء تعالى .

بيان ذلك أنّ حجج الأنبياء على أعدائهم غير قابل للتشكيك
والشبهة إلا بلجاج وعناد ، ونسمة المعجزات سحراً تعسداً
ونعتاً ، ولبس الأمر في كلّ من يدّعي سلوك طريق الحقّ مستدلاً
بما يقطع بطلانه العفلاء المتفطنون كذلك ، بل كلّ مدّع بالنظر
الدقيق الحسالي من اللجاج والعناد موقن بحقيقة معتقده ودلالة
دليله عليه ، ويدّعي الغلبة على خصمه بزعم كونه من جند الله .
نعم يوجد بين المجادلين من يوفن بالحقّ قلباً وبجده لساناً
لأغراض متوقّفة على سلوك هذا المسلك ، وإلى طائفة منهم يشير
قوله تعالى : ﴿ وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ ^(١) وكما يرى ممّن ينمّسك في
حلة النهب بأنّ الغزو كسب النبي ﷺ متمسكاً بحلبة الغنائم
المأخوذة من دار الحرب ، ولا يصغون إلى كلام من يقول بحرمه
ذلك إلاّ بشروط معيّنة في باب الجهاد ، ولا يفيّلون حججهم
باللسان مع كونهم مذعنين بذلك بالقلب والجنان حرصاً منهم على
النهب ، وسوقاً لهم منهم إلى العصب في أخذ أموال الناس
بالاختلاس ، ويزيد ذلك وضوحاً ما نذكر في الجواب عن حجج
المشركين في زمانهم إن شاء الله تعالى .

١- سورة النمل الآية ١٤

[في كيفية جواب أهل الباطل]

ثم قال الفائل: «فنعول جواب أهل الباطل من طريقين:

مبجل ومفصل؛ أما المبجل فهو الأمر العظيم والفسائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) الآية وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سئى الله فاحذروهم»^(٢) مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: ﴿إِلَّا إِنْ أَوْلَيْتَهُمْ اللَّهُ لَا خُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) وَإِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ لَهُمْ جَاءَ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبْهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: إِنْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتَّبِعُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ وَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ مَقْرُونُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ^(٤)

١- سورة آل عمران الآية ٧

٢- كسر العمال ١، ١٩٣.

٣- سورة يونس، الآية ٦٢.

٤- في الأصل: وآله.

كفرهم يستعلق على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع بأن كلام الله تعالى لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله. وهذا جواب جيد سديد، لكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهين به فإنه كما قال الله ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾^(١) انتهى.

وخلاصة مراده - على طول كلامه - أن الإقرار بالربوبية من مشركي زمان رسول الله ﷺ مع قتال النبي ﷺ معهم لكونهم مشركين صريح في أن الشرك فيهم إنما كان لقولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ وتناقض الآية فيكون منشأها. فالمستدل بالآية للاستشفاع بالأولياء متبع للمتشابه. فيجب الحذر منه لزبح في قلبه، وبالآخرة يرجع حاصل كلامه إلى تعلب من يتبع كلامه بإنكار كل دليل يقال على خلاف ما فهمه من الآيات الدالة على إقرار المشركين بالربوبية، وقولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ بعنوان أنه من المتشابه في مقابل تلك الآيات.

١ - سورة صصلت، الآية ٢٥

لكنك بأدنى تأمل فيما تلونا عليك سابقاً تطلع على فساد هذه الكلمات من جهات شتى.

الأولى: أن الإقرار بالربوبية لا ينافيه الشرك، ولا يستلزم التوحيد الحقيقي الذي هو مدلول لا إله إلا الله بالنسبة إلى توحيد الذات وتوحيد الأفعال الدالّ عليه قوله تعالى: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١) والتوحيد في الصفات المستفاد من قوله تعالى «ليس كمثله شيء» والتوحيد في العبادة المستفاد من قوله تعالى: «ليعبدوا الله مخلصين له الدين»^(٢).

الثانية: كيفية أعمال هؤلاء المشركين بالنسبة إلى الأصنام فإنهم كانوا يعملون لهم ما يختص بالله تعالى المستفاد من قوله تعالى: «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر»^(٣) الخ.

الثالثة: كيفية استشفاعهم حيث كانوا يقولون: عبادتنا هذه للأصنام موجبة^(٤) لحصول قربنا من الله خالق السماوات والأرض، وهذا خارج عن استشفاع المستشفعين بالأنبياء والأولياء ولا مناسبة بينهما.

١- الآية هكذا: «لا قوة إلا بالله» سورة الكهف، الآية ٣٩، وما ذكر المؤلف سهو منه.

٢- سورة البقرة، الآية ٥ وفي الأصل: فاعبدوا والصحيح ما أنشأه.

٣- سورة فصلت، الآية ٣٧.

٤- في الأصل: موجب والصحيح ما ذكرناه.

الرابعة: من حيث الإذن في الاستشفاع؛ فإنَّ الاستشفاع بالأصنام أو الملائكة المعبودة أو النبيَّ المعبود غير مأذون فيه، بخلاف الاستشفاع بالأنبياء والأولياء؛ فإنه مأذون فيه.

الخامسة: من حيث الاشتراك في الاسم؛ إنَّهم كانوا يستمّون الأصنام المقول فيها «هؤلاء شفعاؤنا» آلهة فقال الله تعالى: «إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(١) وهذه المقالة عند المستنفعين بالأنبياء والأولياء كفر لا بستر، وذنوب لا يغفر، فالقياس مع بطلانه من أصله لبس له جامع، ووجود الفرق عنه مانع.

إيقاظ وتبصرة:

فد أعمل هذا الفائل الشيطنة والتقلب إغفالاً للمراجع إلى كلامه؛ حيث أسقط تنمّة الآية، وذكر الآية إلى حدّ قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله»^(٢) وترك قوله تعالى: «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكر إلّا أولوا الألباب» لئلا يتوجّه إليه سؤال إلزامي وهو السؤال عن معنى «الراسخون في العلم»، وأنّه من المراد منهم، والقول بأنّه كلام مستأنف وليس عطفاً على الله حتّى يكون المراد أن: «الراسخون

١- سورة التمل الآية ٦٣ وفي الأصل «آلهة» والصحيح ما ذكرنا

٢- سورة آل عمران: الآية ٧

في العلم يعلمون تأويله ، بل هو كلام مستأنف ، و المراد منه أن العلماء الذين لا يعلمون التأويل «يقولون كل من عند ربنا» باطل^(١) جداً؛ فإن استنباف الكلام مقتضى لانحصار العلم بالتأويل في الله تبارك وتعالى ، كما قصد القائل بترك تتمعة الآية إيهام الانحصار غافلاً عن ورود الاعتراض على الله بذلك بأن يقال : الكلام المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا المتكلم بكون صدوره منه وتكلمه به لغواً ، وإنما يخرججه عن اللغوية وجود من يعلم تأويله ومعناه غير المتكلم . وحينئذ يسأل عن القائل إن «الراسخون في العلم» العالمون بتأويله إذا ذكروه وثبت عندنا المراد منه هل يدخل حينئذ في المحكم أو لا ؟ فان قال : نعم يدخل في المحكم قلنا فالمتبع للنسبآت بعد العلم بفقاده وتأويله من بيان الراسخين في العلم ليس ممن يكون في قلبه زيغ . وإن قال : لا يدخل في المحكم ، قلنا فما ثمرة البيان الصادر من الراسخين في العلم ؟ فإن رجع القول بانحصار العلم بتأويله في الله تبارك وتعالى عاد الاعتراض بكون التكلم بما لا يعلمه أحد لغواً وقبيحاً لا يصدر عن أدنى متكلم فضلاً عن الحكيم تعالى ، وإذا ثبت كون بيان الراسخين في العلم مخرجاً للكلام عن كونه متشابهاً ، وحصار

١ - هذا خبر لغوه ، «والقول» .

بذلك داخلاً في المحكم فنقول: إن الفرد الظاهر المنصرف إليه لفظ «الراسخون في العلم» هم الأنبياء والأولياء، أعني أوصياءهم المعلمين منهم، الحائزين لعلومهم، فوجب على كل مسلم سؤالهم عن تأويل المنشابهات، والأخذ بمقالتهم، فربما يختلط الأمر على العامي فيزعم المحكم متشابهاً كما مثل القائل المنشابه بقوله تعالى: «إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١).

إلى أن قال: «وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجأوبه بقولك إن الله تعالى ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم وينبعون المتشابه الخ» وجبت بعد السؤال من الراسخين بعلم كونه محكماً أو متشابهاً، وعلى تقدير كونه متشابهاً يعلم تأويله ومعناه ببيانته، ويدخل حينئذ في المحكم. فبنحصر اتباع المتشابه بمن لا يسأل من الراسخين في العلم، وبأول على مقتضى مرامه، ومراده إنباء الفتنة.

ثم إن قول القائل: «وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجأوبه الخ» مغالطة وإغفال وتعليم للتجاهل والاضلال؛ فإن كل من عرف لغة العرب علم الموضوع له الألفاظ من كلمة «ألا» التنبيه ولفظ «الأولياء» الذي هو جمع الولي و«لا» النافية و

١- سورة نونس: الآية ٦٢.

«الخرف» و «الحزن» وفهم المراد من هذه الجملة المتكررة في القرآن في موارد كثيرة منها قوله تعالى ﴿فَمَنْ شِغْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) أي من أتبع رسلي الهادين للناس إلى «فلا خوف» عليه من العقوبات الموحسة «ولا هم يحزنون» من البليّات والمكاره المنوجهة؛ لعلمهم بأن الله تعالى لا يعذب المهتدين الذين هم أولباؤه وأحبّاءه.

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) فجعل الإيمان بالنبي ﷺ وكذلك المؤمنين بالله والقسيامة من الطوائف المذكورة، ومأجورين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومنها قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) فجعل التوجه إلى الله مسلماً مع العمل الحسن مناطاً لعدم الخوف والحزن. ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُتْلَفُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

١- سورة البقرة: الآية ٣٨.

٢- سورة البقرة: الآية ٦٢.

٣- سورة البقرة: الآية ١٧٧.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ»^(١)

ومنها قوله تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالطَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ»^(٢) إلى غير ذلك مما لا يحتاج إلى ذكره بتمامه.

والحاصل أن عدم فهم معنى آية «إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ»^(٣) للعارف بلغة العرب شيء لا يساعد عليه وجدان أحد، وعد ذلك من المتشابه لا بصدر إلا من معاند الدِّكَا أن جعل الإفرار بالربوبية دليلاً على كون الشُّرك جعلهم الآلهة شفعاء عند الله. وقاس المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم بجامع الاستشفاع أمر لا يساعد عليه عاقل واحد سوى اللُّجوج المعاند، وقد سبق منا عدم الجامع للقياس وعدم المنافاة بين الإفرار بالربوبية ونقصان التوحيد، وسنزيدك وضوحاً فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما عدم فهم كلام من يقول بالشفاعة وأن الأنبياء لهم جاه عند الله بجعله من المتشابهات - فن أعجب العجائب؛ لأن عدم فهم حقيقة [الشفاعة] إن كان لأجل عدم إمكان الإذن فيها، فتقول

١- سورة الفرقان: الآية ٢٦٢.

٢- سورة الفرقان: الآية ٢٧٤.

٣- سورة مونس: الآية ٦٣.

الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) صريح في إمكانه ووفوعه. وإن كان لأجل كونها دعوة وتوجّهاً إلى غير الحق. فمع فرض الإذن فيها يخرج عن كونها دعوة وتوجّهاً غير مأذون فيه. وإن كان لأجل عدم وجاهة الأنبياء والأولياء عليهم السلام عند الله فهو انكار للبديهي؛ فإنّ وجاهتهم هي التي صارت سبباً لنبوّتهم وولايتهم. ولولا تلك الوجاهة المعبر عنها بالقرب إلى الله لكان تقدّمهم على غيرهم ترجيحاً بلا مرجّح. والأدلة على وجود تلك الوجاهة كثيرة مذكورة في علمي الحكمة والكلام. وقد ذكرنا بعض الكلام في ذلك في شرح [الـ] زيارة الجامعة عند قول الإمام عليه السلام: ديا أهل بيت النبوة^(٢) ومن أراد الاطلاع على التفصيل فليرجع إليه وإلى غيره من مظانه.

قل لمن يظهر ديناً مؤمناً ما يسوى ذلك شركاً بيننا
أبقن الشيطان في استدلاله جابوب الحق جواباً متقنا
صار مردوداً بما قد فاله عساند الله عناداً معلنا
هم بالاضلال والإغواء من كان في طوع الهوى مرتئنا
فلنخص بما ذكرنا وتبين لك أنّ هذا القائل منكر للشفاعة التي

١- سورة الفرقة، الآية ٢٥٥.

٢- راجع الزبارة الجامعة في معاني الجنان للشيخ عباس النعمي (ره).

هي من واضحات الدِّين ومصرحات الفرقان المبين آيات عديدة،
ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١) ومنها قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ
إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٢) الخ وأمثال ذلك .

وظهر لك أنه هو الجاحد لما نطق به التنزيل العظيم ، وحكم به
صروي دين النبي الكريم ﷺ وأن الكفر والشرك مردود إليه دون
من نسب ذلك إليه من المسلمين والمؤمنين الموحدين ، نعم ذلك
عاقبة من ترك أحد الثقلين ، وأسغى وأغتر بفهمه عن الرجوع
والأخذ بثاني الودعتين اللتين أودعها النبي ﷺ أمته في الروايات
الصحيحة المقبولة عند الطرفين بقوله ﷺ : «إني تارك فيكم
التقلين كتاب الله وعترتي» ثم إنه ﷺ لم يكن في الحكم بلزوم
الجمع بينهما بحرف الواو الذي هو للجمع . بل أكد ذلك بعد ضم
إصبعيه بقوله ﷺ : «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٣) مع
التعبير بكلمة «لن» التي هي لنبي الأبد دون كلمة «لا» قال الله
تبارك وتعالى: ﴿إِذْ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاعُوا السُّوَّاءِ أَنْ كَذَّبُوا

١- سورة الأنبياء: الآية ٢٨ .

٢- سورة نساء الآية ٢٢ وفي الأصل حدثت كلمة «عنده» وزيدت الواو قبل : لا نفع .

٣- راجع الحديث في مسند أحمد ٣ ١٤ .

بآيات الله وكانوا بها يستهزئون^(١).

[الجواب المفصل على أهل الباطل]

ثم قال «أما الجواب المفصل فإن أعداءك لهم اعتراضات كثيرة بصدون بها الناس منها قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن عبد القادر وغيره، لكن أنا مذهب والصالحون لهم جاء عند الله وأطلب بهم، فجأوبه بما تقدم؛ وهو أن الذين فأنلهم رسول الله ﷺ مفرون بما ذكرت ومفرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا بما قصدوا الجاه والشفاعة، وأقرأ عليه ما ذكره الله وفهمه في كتابه ووضحه. انتهى.

يعني به الآيات التي دلت على الإقرار بأن الله خالق السماوات والأرض، ويبدئ كل شيء.

ثم قال: «فإن قال هؤلاء: الآيات نزلت فيمن يعبد الأوثان كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجأوبه بما تقدم، فإنه إذا أنكر بأن الكفار يشهدون بالزبونية كلها لله وأنهم ما أرادوا بمن قصدوا إلا الشفاعة، ولئن

١- سورة الروم. الآية ١٠. وهي الأصل يجمعون والصحيح ما أنشأه.

أراد أن يفرّق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذا ذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون من الله رحمته ويخافون عذابه﴾^(١) الآية ويدعون عيسى بن مريم عليه السلام وأمه وقد قال الله تعالى: ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾^(٢) واذكر قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك﴾^(٣) الآية وقوله تعالى: ﴿وإن قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾^(٤) الآية فقل له: عرفت أن الله كفر من عبد الأصنام وكفر أيضاً من عبد الصالحين وقائلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار الذي لا أريد إلا منه، والصالحون ليس من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله

١- سورة الإسراء الآية ٥٧

٢- سورة المائدة الآية ٧٥

٣- سورة الأنعام الآية ٢٢

٤- سورة المائدة: الآية ١١٦، وحدثت عبارة (ابن مريم) من الأصل.

شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ؛ فافراً عليه قول الله تعالى : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ^(١) ويقولون : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضّحها في كتابه وفهّمها فهُمَ جَيِّدٌ فما بعدها أيسر منها ، أنتهى موضع الحاجة .

وخلاصة مرامه أن المشركين في زماننا أكبر حججهم على صحة عملهم أمور ثلاثة وقد أجاب الله تعالى عنها كلّها في كتابه :
الحجة الأولى : قوهم : إنا لسنا مشركين بالله ، بل نحن نقول ونعلم أن كلّ الأمور المذكورة بيد الله وحده لا شريك له . ونقول : إن محمداً ﷺ عبده لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً ، وإذا كان هو ﷺ كذلك فغيره من الأنبياء والأولياء بطريق أولى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ولكن لوجاهة له ولهم عند الله أطلب غفران ذنوبهم من الله ، وليس هذا بشرك ، وإن ما عليه عبدة الأصنام هو شرك .

الثانية : أن في الاستدلال بالآيات الدالة على إقرار المشركين بالربوبية تشبيه الأنبياء والصلحاء بالأصنام وهو مناف

١ - سورة الرمر ، الآية ٣ .

لمقامانهم العالبة .

الثالثة: أنَّ عبدة الأصنام كانوا يريدون الأمور من الأصنام ،
ونحن نريدها من الله لا من الأنبياء والصالحين ، بل نرجو من الله
قبول شفاعتهم إذا شفّعونا .

وحاصل جواب القائل عن الحجّة الأولى أنَّ الآيات الدالة
على إقرار عبدة الأصنام بالربوبية تعيّن وتوجب ^(١) انحصار جهة
شركهم في جعلهم شفّعاء ، والمشركون في زماننا أيضاً مقرّون
بالربوبية ويجعلون الأنبياء والصّالحاء شفّعاء فيتساوون في
الاعتقاد والعمل ، ويشتركون في كونهم مشركين ، وأنت - بعدما
أحطت خبراً بما قدّمته لك من أنَّ خطأ عبدة الأصنام لم ينحصر في
الاستشفاع الغير المأذون فيه من قبل الله تعالى ، بل من جهات
عديدة وخطايا شديدة - عرفت أنَّ الجواب مغلطة غير سديدة
ونزيدك وضوحاً بأن نقول عبدة الأصنام لم يؤمنوا بالنبي ﷺ وإلّا
اقتبلوا قوله ﷺ في التوحيد ، ولم يقاتلهم النبي ﷺ على الشّرك ،
والمستشفعون بالأنبياء إنّما يستشفعون بهم بعد الإيمان بهم واعتقاد
وجاهتهم عند الله لنبوّتهم المقتضية لذلك ، فالقياس فاسد
والشّريك في العمل والاعتقاد لا يجده ولا يبول به إلّا المعاند .

١ - في الأصل ، يعين ، ويوجب ، والصحيح ما أتيناه .

وحاصل جواب الفائل عن الحجّة الثّانية : أَنَّ الآيات دالّة على إقرار عبدة الأصنام بالربوبية لله وحده ، فلا بقدر العدو أن ينكر كون شركهم باعتبار قصدهم الشّفاة لكن يفرّق بين عملهم وعمله ؛ حيث إنهم يقصدون نفس الأصنام والمستشفعين بالأنبياء الشّفاة ، فالفرق في العمل .

والجواب عن الفرق بأنّ عبدة الأصنام لم يكونوا مستشفعين بها فقط ، بل كانوا يدعون الملائكة وعيسى بن مريم عليهما السلام ، فلم يصح التشبيه للأنبياء بالأصنام .

لكنك بعد ما ذكرنا سابقاً وأنّنا تقدر على معرفة بطلان هذا الجواب ، وتوضيحه - مزيداً للمعرفة - بأنّنا نقول إنّ المستشفعين بالأنبياء لا يعبدون إلّا الله ، ولا يسمّون غير الله إلهاً ، ولا يرجون غير الله تعالى ، فلا يقاسون بعبدة الأصنام وإن كانوا عابدين للصالحين مع الأصنام ، وكذلك الذين يعبدون الأولياء ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز حين توجه القحط إلى قريش ^(١) العابدين للأصنام والملائكة أو الجنّ أو عيسى بن مريم عليهما السلام : ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ^(٢) لكونهم بأنفسهم يبتغون لهم الوسيلة إلى ربّهم أبهم

١ . في ٥٥ و ٥٦ . القريش . والقصص ما ذكرناه .

٢ . سورة الإسراء الآية : ٥٦ .

أقرب ويرجون - مع كونهم معبودين لكم - رحمة ربهم ، ويخافون عذابه ويمنحهم على عبادة من لا يصلح للدعوة؛ لعدم كونه قادراً على شيء .

وتحصل من هذا الكلام أنهم غير لا نقب للمعبودية ، فالمحذور هو جعلهم معبودين ، مع كونهم باغين الوسيلة إلى رحمة ربهم لا يجعل عبدتهم إياهم شفعا ، فتشبيه الأنبياء بالملائكة أو الجن أو عيسى بن مريم عليه السلام عند عبدتهم ، وقاس المستشفعين بالأنبياء لوجهاتهم على أولئك مع كون المذكورين معبوداً لهم - غلط واضح وعباس غير صالح ؛ إذ الاستشفاع بصالح لم يجعله معبوداً لا قصداً ولا جوارحاً غير الاستشفاع بمن يعبد فصدأ وجوارحاً ، وبتعبير أوضح وبيان أفصح : إذا فرضنا المشرّكين بالربوبية الذين كانوا يستشفعون بالأصنام ^(١) موحّدين ^(٢) ذاتاً ومشرّكين ^(٣) لأجل الاستشفاع بالأصنام أو الصالحين إنما يصحّ قياس المشرّكين في زمانهم على المشرّكين في زمن النبي صلى الله عليه وآله إذا كانوا موافقين لهم في الاعتقاد والعمل ، وليس الأمر كذلك ؛ فإنهم جعلوا المستشفعين بهم معبودين لهم فصدأ وجوارحاً ، وهذا بخلاف المستشفعين بالأنبياء والأولياء الغير الجاعلين لهم معبوداً لا قصداً ولا

١ - في الأصل : موحداً والصواب ما ذكرناه .

٢ - في الأصل : مشركاً والصواب ما ذكرناه .

جوارحاً، فالقياس غير لائق، لكونه مع الفارق.

وحاصل جواب القائل عن الحجّة الثالثة بقوله: «هذا قول الكفار سواء بسواء فاقراً عليه قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقولهم ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ أَوْ الصَّالِحِينَ كَانُوا مُعْتَذِرِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ لَهَا بِكُونِهَا شَفْعَاءَ لَهُمْ وَهُوَ عَيْنُ الْحِجَّةِ الثَّالِثَةِ.

لكنّك بعد التأمل فيما تلونا عليك سابقاً وأنفاً تعرف أنّ هذا الجواب من قبيل المصادرة على المطلوب؛ لأنّ أصل الدّعوى كون كلام المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام مطابقاً لكلام المشركين العابدين للأصنام، فالجواب بأنّ هذا كلام الكفار سواء بسواء جواب نفس الدّعوى، وتعليقه بقوله: وأقرأ عليه قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾ الخ غير ^(١) به لعدم دلالة الآية على التسوية، فإنّ اعتذار الكفار إنّما هو اعتذار عن عبادتهم إياها بالاستشفاع وأما المستشفعون بالأنبياء والأولياء فلا ^(٢) يعتذرون عن شيء، ولا مقام ولا وجه لاعتذارهم، فإنّهم لم يفعلوا قبيحاً باستشفاعهم، وأنّهم يروونه حسناً، ويعلّلون حسنه بوجاهة الأنبياء والأولياء عند الله بحكم الوجدان في استشفاع كلّ مقصر

١ - غير واضح في الأصل

٢ - في الأصل لا، والاسب ما ذكرنا.

بالموجهين عند مولاه، وهذا غير الاعذار عن العبادة فليس الكلامان^(١) سواء بسواء.

ثم إن الآية الثانية أعني قوله: أَهْؤُلَاءِ سَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، لا توجد في القرآن، وليس فيه والآية الموجودة هكذا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، قُلْ أَنْتَبِّتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) ومفاد قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو الاعذار عن العبادة لما لا يضرهم ولا ينفعهم بالاستشفاع، فوجههم الله بأن هذا الكلام إخبار بأمر لا يعلم الله وجوده في السماوات؛ لأن الاستشفاع بما لا ينفع استشفاع العبد بما ليس له وجهة عند الله، فصار سبيل هذه الآية سبيل الآية الأولى من حيث عدم الارتباط بالمدعى أعني تسوية كلام المستشفعين بالأنبياء والأولياء لكلام الكفار بالبيان الذي قدمناه.

والعجب من قول القائل: «واعلم أن هذه الشبه الثلاث أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله تعالى وضّحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها».

١ - هي الأصل: الكلامين. والصحيح ما أفتيناه.

٢ - سورة يونس. الآية ١٨.

وجه العجب أَنَّ القائل مع كونه من العرب ، ومستأنساً بالقرآن
أستدل بآيات لا دخل لها في المطلب ، فيستحق أن يقال في حقه :

يَا مَنْ يُرَى مِنْهُ الْعَجَبُ يَكْفِيكَ حِزْيُ الْمُكَتَسِبِ
لَا نَمَجِّلُنْ بِالنَّارِ قَبْلَ الْآخِرَةِ أَنْ حِزَّتْ حِمَالُ الْحَطَبِ
تَمْشِي بِأَفْوَالِ النَّبِيِّ قَدْ قَلَّتْهَا بَعْدَ الثَّعْبِ^(١)

ثم قال : «فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى
الصالحين ودعائهم ليس بشرك ، فقل له : أنت تُقر أن الله قد
فرض عليك إخلاص العباد ، فإذا قال : نعم فقل له : بين لي
هذا الفرض الذي فرض الله عليك ؛ وهو إخلاص العباد ؛ وهو
حقه عليك ؛ فإنه لا يعرف العباد ، ولا أنواعها ، فإذا أعلمته بهذا
فقل له : أقررت أنه عبادة لله ، فلا بد أن يقول : نعم ، والدعاء مخ
العبادة ، فقل له : إذا أقررت أنه عبادة لله ، ودعوت الله ليلاً ونهاراً
خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره ، هل
أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له :
قال الله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٢) فإذا أطعت الله ، ونحرت
له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : إذا نحرت

١- كذا.

٢- سورة الكوثر الآية ٢

لمخلوق؛ نبي أو جنّي أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بدّ أن يقرّ ويقول: نعم» انتهى.

ومحصل كلامه في جواب القائل: «بأنّ لا نشرك في عبادتنا أحداً ممّن نجعله شفعا» أنّ كلّها هو عبادة الله إذا فعلتها لغير الله أيضاً فهو تشريك له به، فالذّبح يقع عبادة لله إذا لم يقع لغيره، فإذا وقع لغيره صار ذلك الغير شريكاً لله في تلك العبادة.

هذا محصل مراده بعد إسقاط فضول كلامه، وهو كما ترى غلط لا يصدر من جاهل فضلاً عن عاقل؛ لأنّ العبادة خضوع خاصّ وخشوع مخصوص لها كيفيات خاصة توقيفية، وتعيينها بلسان النبي ﷺ على طين ما أمر الله تعالى بتبليغها، فالنحر المحسوب عبادة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾^(١) بناء على تفاسير أهل السنّة مخصوص بنحر يوم العيد في «منى» فلا يذبح ولا ينحر أحد أبلاً ولا غنماً في منى^(٢) لغير الله بل لا يذبح أحد النشاء خضوعاً لأحد، بل يذبح إمّا تكريماً لقدمه أو تصدّقاً لمريض أو غير ذلك، باعتبار كون ذلك مأموراً به من الله تعالى، والذّبح المنذور صدقة، فهو أيضاً متمحّض لله؛ لأنّ الناذر يقول: لله على ذبح غنم إن شافى الله مريضى، أو رزقنى ولداً ذكراً.

١- سور، الكوثر والآية ٢.

٢- في «س» و«س» «المنى» و«الصحیح ما أتينا».

وأما الذَّهَبُ للعبَّاس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فهو ذبح يرجع إلى الله ؛ ليكون ثوابه هدية للعبَّاس عليه السلام ؛ ليشفع عند الله في حاجة للذَّاهِبِ بقضيتها ^(١) الله تعالى ، فكلَّ الذَّهَبِ راجع إلى الله ، ومصرف المذبح هم الفقراء وغيرهم ممن عيَّنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وذبح المشركين راجع إلى آلهتهم ، وكانوا يمنعون الفقراء منه ، بل مصرفه عندهم خدام الأصنام والمستحفظين لها .

هذا وكذلك الدَّعوة أيضاً لله تعالى ؛ فإنَّ الدَّعاء الذي يحسب عبادة هو ما يسأل المصلِّي من تعالى في قنوته أو تعقيب صلواته أو حال مناجاته في مظانَّ إجابة الدَّعوة وكلها معيَّنة بكيفيات خاصَّة من الخضوع والخشوع والابتهال والبكاء ، ولا يدعو أحدٌ أحداً من الأنبياء والأولياء مثل ما يدعون الله تعالى ، مثلاً يقول الدَّاعي : يا ربِّ أعطني سعة في الرِّزْق ، وبركة في المال ، وصحَّة في الجسم إلى غير ذلك ، ولا يقول : يا محمَّد صلى الله عليه وآله أو يا علي عليه السلام أعطني سعة في الرِّزْق الخ بل يقول : يا رسول الله صلى الله عليه وآله أو يا أمير المؤمنين عليه السلام اشفع لي عند الله تعالى أن يعطيني كذا وكذا ، وهذا الدَّعاء ليس عبادة ، بل استغاثة والتَّجاء كما يقول الأعمى : يا رجلاً خذ بيدي أو يقول شخص لأحد : اركبني على فرسي ، أو يقول الغريق لستاح :

١ - «س» و«ن» بقضيتها . والصحيح ما أنشأه

أنقذني.

فالعبد المفطر عند مولاه إذا قال للوجيه عند المولى : اشفع لي عند مولاي في العفو عني، فهذا بعد النجاء واستغاثة لا أنه تشريك في الدعاء الذي هو مخ العباد؛ فإن لتلك الدعوة كهيئة مخصوصة، لا تصدر^(١) من أحد بتلك الكيفية إلا الله تعالى فالقياس غير لائق على أنه مع الفارق.

ومن العجب ما بقوله بقوله «فإنه لا يعرف العبادة وأنواعها» فإنه مع كونه مخزّصاً أمر غير معقول عادة؛ إذ لا يمكن أن يكون كلّ محتجّ بهذا الاحتجاج غير عارف بالعبادة وأنواعها محتاجاً إلى بيان خصمه.

وقد عرفت مما قرّرت هنا أن قوله : «فقل له: أقررت أنه عبادة ودعوت الله لبلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في هذا الدعاء غيره، فلا بد أن يقول : نعم» غلط واضح؛ إذ الفرض غير واقع؛ فإن للدعاء الذي بدعوه به الله لحاجة كسعة الرزق أو بركة في المال يطلب به نفس الحاجة يقوله : اللهم أعطني سعة في الرزق مثلاً، ولا يقول يا رسول الله ﷺ أعطني سعة في الرزق. بل يقول : يا نبي

١- في الأصل، صدر. ولا ينسب ما ذكرناه.

الله اسفع لي عند الله أن يعطيني سعة في الرزق، فكيف يقول: «فلا بد أن يقول نعم» ومثل هذا الكلام ما قاله بالنسبة إلى الذبيح بالتفريب المتقدم.

أَفْسَدَ الدَّهْرُ فَسَادَ الْخُرْصِ مِنْ لُجَاجٍ وَعِنَادِ الْخُرْصِ
خَرْقُ بِنَانٍ رَكِيكَ أَضْلُهُ لَا يُعَمَّرُ بِعَجِينِ الْجَصِ^(١)
لَيْسَ مَا قُلْتَ يَفِيدُ السَّامِعَ دَعِ مَقَالاً لُخْبَالِ اللَّصِ^(٢)

[في دعوى أن طلب الشفاعة من الأنبياء كطلبها من الأصنام؟]

ثم قال القائل: ثم قل له: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك، فلا بد أن يقول: نعم فقل: هل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبيح والالتجاء ونحو ذلك وإلا فهم مقرّون أنهم عبيد الله تحت قهره وتصريفه، وأن الله الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للرجاء والشفاعة، وهذا ظاهر.

وخلاصة مراده تكرار مقالاته الباطلة من أن الإقرار

١- كذا.

٢- كذا.

بالربوبية لله تعالى بوجوب انحصار عبادتهم لهؤلاء المعبودين في
الدعاء إياهم والذبح لهم، والالتجاء إليهم للجاء والشفاعة، وقد
قرّرنا بطلان هذه المغالطات بتفريرات مختلفة في موارد متعدّدة، فلا
نعبدها؛ فإنّ العاقل المنصف تكفيه الإشارة، والمعاند المتعسف لا
يردّه عمّا هو عليه تكرار العبارة، وأحسن ما يليق أن يقال في حقه
ما فيل بالفارسية.

كوش أكر كوش نو وناله أكرناله من

أنكه البته بجاني نرسد فريادست

وبستحقّ أن تقول له: أخطب من أراه تائهاً في ضلاله لا
هدبه لكنّه لا حياء له^(١).



ثم قال: وإذا قال أتتكر شفاعته رسول الله ﷺ وتبرأ عنها فقل
لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو
شفاعته، لكنّ الشّفاعه كلّها لله كما قال الله تعالى: ﴿قل لله
الشّفاعه جميعاً﴾^(٢) ولا تكون إلّا بعد إذن الله كما قال تعالى ﴿من
ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾^(٣) ولا يشفع في أحد إلّا بإذن الله

١- هذا في الطاهر ترجمة للبيت الفارسي المقدم

٢- سورة الرعر: آية ٤١

٣- سورة البقرة: الآية ٢٥٥

فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد والإخلاص كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُقْبَلَ﴾^(١) وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَجْعَلِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا قُلْنَا يُقْبَلُ مِنْهُ﴾^(٢) الآية فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفّعه فيّ وأمثال هذا انتهى .

وخلاصة مراده أن الجمع بين كون الشفاعة كلها لله وأنها لا تكون إلا بإذنه ، والمأذون فيها لا يشفع إلا لمن أَرَادَ غير ممكن إلا بأن يقال إنه يصحّ الطلب من الله شفاعته بأن يقال : اللهم شفّع النبي ﷺ أو غيره فيّ فيكون قول من يقول : يا أيها النبي اشفع لي عند الله شركاً ؛ لأنّ الشفاعة كلها لله ، وإذا طلب السائل ذلك من النبي ﷺ أو غيره فقد أشركه مع الله .

هذا لكنتك خير بأنّ هذا الكلام أقبح الكلمات ، فإنّ النزاع اللفظي غير لائق بالعلماء سيما في الأمور المهمة التي تتعلقها^(٣)

١ - سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .

٢ - سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

٣ - هي «س» و «ن» تتعقته ، والصواب ما أشتاء .

المفسد الكثرة. مضافاً إلى أن نسبة ذلك إلى المستضعفين
بالأنبياء والأولياء تنهك وتجريه؛ فإنهم يقولون في تشهد
صلواتهم: «وتقبل شفاعة وارفع درجته»^(١) وقد يقولون:
«اللهم إني أتقرب إليك بذكرك، واستشفع بك إلى نفسك»^(٢)
وقد يقولون «يا وحيهاً عند الله أشفع لنا عند الله»^(٣) وفي هذه
العبارة إشعار بأن الاستشفاع بالشفع المخطب إنما هو
لأجل وجاهته عند الله تعالى لا لكونه مالك أمره، وأيضاً فيها
تلويح بأن الإذن في الاستشفاع حاصل لكل وحيه عند قربه
إليه. [و] كيف لا يكون كذلك وقد أمر الله تعالى عباده بطلب
الرحمة من الله للبيه عليه السلام بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٤)
بعد ما ذكر أنه تعالى وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ مشعراً بكلال
وجاهته عليه السلام عنده تعالى، وقربه منه، ومحبوته لديه. مع ما جبل
عليه الطبايع والعقول من قبول شفاعته الشفع عند المنقرب إليه
والمحبيب لديه.

١- هروع الكافي ٣ ١٨٨.

٢- معانيع الحان: دعاء كسل.

٣- المصدر السابق: دعاء البوشل.

٤- سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

تبصرة وإيضاح تقلب وإيقاظ عن إغفال

في استدلال القائل بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ إسقاط لما قبل الآية وذيلها بما يتضح به حقيقة المطلوب والمراد؛ فإن الآية السابقة عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَمْ يَمْلِكُوا شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١) نوبيخ في الآية الشريفة لعبدة الأصنام بالاستغناء عن الإنكارى اللومى؛ حيث قالوا فيما يعبدون من الأصنام: هؤلاء شفعائونا عند الله، معللاً للتوبيخ بأن الشفيع لابد في شفاعته أن يكون مالكاً للشفاعة، ومختاراً للشفوع لأمر يستشفع عنده، أو يكون عالماً عاقلاً موجهاً مستحقاً للإكرام والاحترام. بقبول شفاعته لمقام علمه وشرف عقله، وحينئذ فلا تستحق الأصنام مقام الشَّفَاعَةِ مع كونها آلهة عندهم، بل الشَّفَاعَةُ كلها لله، ولا شريك له في ذلك، فهو بنفسه شفيع للمعقرين والمذنبين عند نفسه برحمته الواسعة. وبجعل الشفيع عنده بمن عيّنه شفيعاً لقربه إليه بشرف العلم والعقل، وهو المأذون من طرفه في شفاعته المذنبين المصيرين وقضاء حوائج المحتاجين، لكونه تعالى مالك ما في

١. سورة الزمر الأتان ٤٣ و ٤٤.

السموات والأرض من أمر الشفاعة وغيرها، فإنه يرجع شفاعته من يسفع بإذنه لرجوع كل الأمور إليه، فهذه بالصراحة تدل على غلطة قوهم: هؤلاء شفاعونا عند الله، وفي صحة شفاعته من يكون له وجهة عنده وقرب لديه؛ لعلمه وعقله، وتصريح بأن شفاعته أيضاً شفاعته راجعة إلى الله، لرجوع كل أمر إليه، فالآية دليل لنا لا علينا.

وأما الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١) فشيء لا ينكره أحد من المستشفعين بالأنبياء والأولياء؛ فإنهم معتقدون بأنهم عليه بأمرة تعالى يعملون، وبحكمه يحكمون، وإلى سبيله يرشدون لا يوجبون على الله قبول الشفاعة، ولا يتمنون من الشفعاء إلا نفس الشفاعة في ظاهرها لهم، ويطلبون من الله قبول شفاعتهم في الباطن.

وكون الرضا بالشفاعة لأهل التوحيد مسلم لكن الإشكال في تخصيص الموحدين بالوهابية دون سائر المسلمين.

وفي الاستدلال بهذه الآية لإثبات كون غيرهم مشركين دور واضح؛ لتوقف عدم الرضا بالشفاعة لهم على كونهم غير موحدين، وتوقف كونهم كذلك على كون استشفاعهم شركاً وهو

١- سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

عين المتنازع فيه .

قُلْ لِمَن عَائِدَ لِّلْحَقِّ أَبَا سَأَلْتُكَ عَنْ صَفْعِ عَدْلٍ عَدَلَا
مَسَلْتُكَ الْحَقُّ طَرَبُوقٌ وَاحِدٌ لَا يَجَاوِزُ عَنْهُ إِلَّا الْحَوْلَا
لَمْ يَكُنْ إِثْبَاتٌ حَقٌّ بِالْجِدَالِ دَعِ مِرَاءَ ظَاهِرًا أَوْ جِدَلَا

ثم قال : «فإن قال : إن النبي أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما^(١)
أعطاه الله ، فالجواب أن الله تعالى أعطاه الشفاعة ، ونهاك أن
تدعو مع الله أحداً قال الله تعالى : ﴿المساجد لله فلا تدعوا مع الله
أحداً﴾^(٢) وطلبك من الله شفاعته نبيه ﷺ عبادة ، والله نهاك أن
تشرك في هذه العبادة أحداً فإذا كنت تدعو أن يشفعه فيك
فأطعمه في قوله تعالى ﴿فلا تدعوا﴾ في هذه العبادة «أحداً»
انتهى .

في التفسير

وملخص مقصوده : أن إعطاء الشفاعة تكريم لنبيه ﷺ وهو في
محلّه ، والنهي عن أن تدعو مع الله أحداً تكليف متوجّه إليك وجمع
الطالبيين^(٣) . يحصل أن تطلب من الله أن يشفع النبي فيك ، لكنك
أنت لا تدعو غير الله نبياً كان أو ولياً أو ملكاً أو صالحاً .

١ - كذا ، والصحيح منى .

٢ - سورة الحن ، الآية ١٨ .

٣ - في الأصل : المطلبين والصواب ما أنشأ .

هَذَا لَكُنْكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي حَقِيقَةِ مَعْنَى إِعْطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّفَاعَةَ لِنَبِيهِ أَوْ وَلِيِّهِ، عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْإِعْطَاءِ إِلَّا تَرْغِيبَ النَّاسِ إِلَى الِاسْتِشْفَاعِ بِهِ وَطَلَبِ مَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(١) مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِتَلْفِيهِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ التَّوَسُّلَ بِالْأَسَامِيِّ الْمَكْتُوبَةِ فِي سَائِِ الْعَرْشِ، فَتَوَسَّلَ بِهَا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنْتَ الْمَحْمُودُ إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ»^(٢) فَقَبِلَ بِذَلِكَ تَوْبَتَهُ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ إِذَا قَالَ الدَّاعِي: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ شَفَعَهُ فِيَّ لَا مَعْنَى لَهُ غَيْرَ قَبُولِ شَفَاعَتِهِ بَعْدَ الِاسْتِشْفَاعِ بِهِ؛ إِذْ أَصْلُ الشَّفَاعَةِ الْمَعْطَى بِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَا حَاجَةَ إِلَى دَعْوَةِ الدَّاعِي وَمَطْلُوبِ الدَّاعِي فَبُولِ شَفَاعَتِهِ فِيمَا اسْتَشْفَعَهُ بِهِ، فَإِذَا قَالَ خُطَاباً لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا وَجْهَهُ عِنْدَ اللَّهِ اشْفَعْ لِي عِنْدَ اللَّهِ، فَقَدْ طَلَبَ الشَّفَاعَةَ صَرِيحاً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَبُولُهُ ضَمناً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذَا قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ شَفَعَهُ فِيَّ، فَقَدْ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ قَبُولَ شَفَاعَتِهِ ﷺ وَاسْتِشْفَاعَ بِهِ ﷺ ضَمناً، وَهَذَا ظَاهِرٌ عِنْدَ الْعَارِفِ الْمُنْصِفِ وَذِي الْوَجْدَانِ غَيْرِ الْمُتَعَصِّفِ^(٣).

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ دَعْوَةِ غَيْرِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

١ - سورة البقرة الآية ٢٧

٢ - راجع تفسير الآية في مجمع البيان ١: ٢٠٠ طبع دار المعرفة - بيروت

٣ - في الأصل: العر مصفف، والصواب ما أُنشأه.

فلا تدعوا مع الله أحداً^(١) فهي عن الدَّعوة المخصوصة التي كانت معمولة عند عبدة الأصنام، بل اليهود والنصارى، حيث إنهم في بيعهم وكنائسهم يدعون العزيز وعيسى ﷺ بالألوهية، وعبدة الأصنام كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، فالآية ناهية عن تلك الأفعال، ولو سلّمنا العموم فهو مخصّص بالدَّعوة الاستشفاعية لمن أعطاه الله الشِّفاعة، ولو سلّمنا عدم التخصيص فنقول: ليس الاستشفاع بالنبي ﷺ دعوة لغير الله تعالى، ونفس الاستشفاع للوجهه ليست بعبادة، والنهي عن دعوة غير الله مع الله الدَّعوة بالألوهية لا الدَّعوة للاستشفاع، وقد فدّمنا أنّها مستلزمة لدعوة قبول الشِّفاعة.

وبما ذكرنا ظهر لك أنّ قول القائل: «طلبك من الله شفاعته نبيه ﷺ عبادة، والله نهاك أن تدعو مع الله أحداً في العبادة» مغلطة وليس في محلّه؛ لأنّ الاستشفاع بالنبي ﷺ والوليّ أبضاً عبادة لله لتضمينه طلب قبول الشِّفاعة، لأنّ طلب شفاعته نبيه ﷺ ليس إلّا لأجل التوجّه إلى ذات الحقّ وهو حاصل بالاستشفاع بالنبي ﷺ لأنّ معنى الاستشفاع طلب الحاجة بتوسّط النبيّ المجهول له الشِّفاعة، والمأذون في الشِّفاعة بإعطائها له ﷺ.

ثم قال القائل: «وأبضاً فإنَّ الشفاعة أعطاهما غير النبي ﷺ»
 فصَحَّ أَنَّ الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون، أنقول إنَّ الله
 أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم، فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة
 الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وإن قلت: لا، بطل
 قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه ممَّا أعطاه الله» انتهى.

وخلاصة مقاله في إنبات أنَّ إعطاء الشفاعة من فضل الله ليس
 مختصاً بالنبي ﷺ بل أعطاهما كلَّ الصالحين، فالاستشفاع بهم ليس
 شركاً وقد جعله الله شركاً، فليكن الاستشفاع بالنبي ﷺ كذلك.
 هذا لكنك بعد التأمل فيما ذكرناه ممَّا تقدم من أنَّ عبدة الأصنام
 والملائكة وعيسى عليه السلام وغيرهم كانوا يسمون العبادة شفاعة
 بفولهم: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»^(١) «وما نعبدهم إلا ليقرَّبونا
 إلى الله زلفى»^(٢) تعرف الفرق بين كلامهم وعملهم وبين عمل
 المستشفعين بالأنبياء والأولياء وكلامهم مع أنَّ لنا أنَّ نقول: إنَّ
 الشفاعة لم تعط^(٣) من الله إلا للنبي ﷺ وأوصيائه، ولهذا نقول:
 وبمحمد وآله ﷺ نتوجه إليك ونستشفع لديك ونقول في التشهد
 وتقبل شفاعته والالتجاء بغيرهم باعتبار كونهم من المفرِّين

١- سورة نوح، الآية ١٨

٢- سورة الزمر، الآية ٢٣

٣- في الأصل: تعط، والأُنسب ما ذكرناه

والموجهين عند الله ترجيح للمرجوح عَلَى الراجح والمفضول عَلَى
 الفاضل ولا يصدر ذَلِكَ عن العاقل، فمع إمكان الاستسفاف بالنبي
 وآله عليهم السلام، والالتجاء بهم، ومعلومية أفضليتهم من جميع الأنبياء
 والمرسلين والملائكة المفرزين، لا حاجة لأحد إِلَى الالتجاء
 والاستسفاف بغيرهم. وَمَنْعُنَا عن الالتجاء بهم إِنَّمَا هو لكون ذَلِكَ
 تفضيلاً للمفضول عَلَى الفاضل، ولا يصدر إِلَّا عن سفيه أو جاهل.

زَعَمَ الجَاهِلُ السَّرَابَ كَمَا يُسْتَرَوَى بِهِ غَلِيلُ ظَمَاءٍ
 قُلْ لَهُ بَالِغُ النَّظَارَةِ فِيهِ كَيْ تَرَى نَظْرَةَ الْحُمْقَاءِ
 كَيْفَ هَذَا الْقِيَاسُ عِنْدَ بَصِيرَةِ عَابِتِ الْمِيزَانِ غَيْرِ سَوَاءٍ

ثم قال الفائل: «فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلاً،
 لكن الالتجاء بالصالحين ليس بشرك فقل له: إذا كنت تقرب بأن الله
 تعالى حرّم الشرك أعظم من تحرّيم الزّنا وغيره، وأن الله لا
 يغفره، فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنّه لا يغفره؟ فإنه لا
 يدري فقل: كيف تبرئ نفسك عن الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف
 يحرم الله عليك هذا ويذكر أنّه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟
 أظنّ أنّ الله يحرمه ولا يتبّه لنا؟ فإن قال: الشرك عبادة الأصنام
 فقل له: ما معنى عبادة الأصنام أظنّ أنّهم يعتقدون أنّ تلك
 الأحجار والأخشاب تخلق وترزق وتدبر أمرهم إن دعوها؟

فهذا يكذبه القرآن، أو هو قصد خشبة أو حجراً^(١) أو بناء على قبر أو غيره، ويدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقرّبنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا الله ببركته، ويعطينا ببركته، فقد صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا^(٢) التي على القبور، فهذا أقرب بأن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب» انتهى.

وملخصه تكرار للمغال وإعادة لما قال من أن أفعال المستشفعين بقبور الأنبياء والأولياء هي ما كان يعمل به [يعمله خل] عبدة الأوثان، والمراد من الشرك المحرم الذي هو أعظم من الزنا هو هذا، لكن لا يعلم أنه شرك، فإذا علمته واعترف بأن عبدة الأصنام كانوا يعملون مثل عملهم ويفعلون مثل فعلهم وقولهم ثبت المطلوب. . . .
أقول: هذا الكلام من هذا الفائل مشتمل على خرص وجهل وكذب وتهمة.

أما الخرص فهو قوله: «فإنه لا يدري الخ» إذ معنى الشرك معلوم لغوه وعرفاً لكل من استأنس بلسان العرب، وليس له غير المعنى اللغوي أو العرفي إلا ما اصطلاح عليه الوهابية، والفران

١- كذا

٢- كذا

منزّل على لسان العرب لا على ما اصطاح عليه جماعة تقليداً لعبد الوهاب الأصفياني العجمي .

فتقول نحن نعلم الشرك الذي نتبرأ منه ، ونقول : هو حاصل لمن لم يوحد الله ذاتاً وفعلاً ووصفاً وعبادة . فمن عبد غير الله بما هو عبوديته لله تعالى فهو مشرك ، وكذا التشريك في الأمور الثلاثة غير العبادة أياً ما كان ، وقد سبق .

وأما الجهل فلائه - على ما يفهم من كتابه - لم يعلم أن الشرك كالنوحيد أمر قلبي وفعل من أفعاله يختلف عمل الجوارح باختلافه ، مثلاً الانحناء لشخص عظيم يحلله تعظيم ، ولغيره مسخرة واستهزاء ، وليس حاله كالسجود المختص بالله تعالى حتى لا ينقلب عنوانه بالقصد ، فقبيل الحجر الأسود^(١) واستلامه ، وكذا الأحجار والأخشاب المعبولة للبناء على قبور الأنبياء والأولياء والالتجاء بهم لا يقاس بأفعال عبدة الأوثان ، فإنهم يدعون أصنامهم ، ويدبحون لها ، والمستشفعون بالأنبياء لا يدعونهم ، ولا يدبحون لهم ، ولا يقولون : ﴿لما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٢) وقد سبق تبیان ذلك .

فقلوه : «وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على

١ - في الأصل حجر الأسود ، والصحيح ما أشتاء .

٢ - سورة الزمر : الآية ٣ .

القبور وغيرها الخ» باطل ناس عن جهل بمعنى العبادة، وكذب وتهمة في نسبه فعلنا إلى فعل عبدة الأصنام، وهذا الكلام لا يصدر عن العوام الأضل من الأنعام؛ لأن المشركين كانوا يقولون: ﴿أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(١) أو يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فيصرحون بأنهم بعدون الأصنام التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾^(٢) حتى السَّفَافَة، ﴿وَلَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) شيئاً فيكون سبباً لفرهم ووجاهتهم عند الله. وأما المستشفعون بالأنبياء فيصرحون بقول لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، ويستشفعون بمن أذن الله في الاستشفاع به، وهو وجهه عند الله، وواسطه لإبصال القيوضات من الله إلى عباده، ومع قربه ووجاهته لا يعبدونه، بل يقولون لا نعبد إلا إياه، فكيف لا يستحبي ولا ينجل هذا القائل من قوله: «هذا فعلكم عند الأحجار الخ»؟ مع أن الكلام كان في الاستشفاع والالتجاء، وليس أحد من المستشفعين بالأولياء يفعلون ذلك بالنسبة إلى أحجار بنهان القبور وأخضابه، وما أشبه هذا الكلام السفسطي بمقالة من يقول من أهل السنة من أن الشيعة الرافضة^(٤) مشركون

١- سورة هود، الآية ٦٢ وفي الأصل: أتنهانا عما بعد ... والصحيح ما ذكرناه.

٢- سورة الرمر: الآية ٤٣.

٣- في الأصل الرافضة، والصحيح ما أئتمناه.

لسجودهم عَلَى التَّربة؛ وهي كالصَّنم لِعَبْدَتِهِ ، وكلَّمَا يقول الساجد عَلَى التَّربة من أَنَّ هَذَا تَعْفِيرٌ ، وهو مندوب ، وخضوع مخصوص لله جَلَّ جلاله؛ لا يَقْبَلُون منه الاعتذار ، ويجعلونه مسلك الفرار ، كما أَنَّ الشيعة تقول لهم: إِنَّ التَّكْتَفَ حال القراءة قبل الركوع تعظيم للجبايرة عند الوقوف بحضورهم ، ولا يصحَّ أَنْ يعمل في الوقوف عند الله مَا يعمل للوقوف بحضور الجبايرة ، وهو بدعة ، مستحدثة لم يَأْتِ بها النبيُّ المختار ﷺ ولم تحكم^(١) به شريعة سيد الأبرار يقولون: هَذَا أدب نعمله للعظماء وَأَيَّ عَظِيمٍ أعظم من الله ، ولا يَقْبَلُون الأدلة الدالة عَلَى المنع منه باستحسان عندهم ، لكنَّ الحقَّ أَحقُّ أَنْ يتبع .

أَيَا مَنْ أَنتَ مَخْنَالٌ فَخَوِّزْهُ وتزعَّمْ أَنَّكَ حَيَالٌ غُرُورُ
أَتُخَدَعُ بِالتَّمْوِيهِ جَمْعاً^(٢) وَبَيْنَ يَدَيْكَ مُنْتَقِمٌ غَيُورُ
تُرَى يَوْمًا يَخَاصِمُكَ الْجَمَاعَةُ عَلَيْكَ جَزَاءٌ مَا تَعْمَلُ يَدُورُ

[في دعوى أَنَّ الشُّركَ لَا يَخْتَصُّ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ]
ثم قال: «ويقال له أيضاً قولك الشُّركَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ
هل مرادك أَنَّ الشُّركَ مخصوص بهذا، وَأَنَّ الاعتماد على

١ - في الأصل: يحكم والأنسب ما أفتناه.

٢ - كذا.

الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردّه ما ذكره تعالى في كتابه العزيز من تعلّق بالملائكة وعيسى عليه السلام والصالحين، فلا بدّ أنّ يفرّك أنّ من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب» انتهى .

وملخص مقصوده: أنّ الشّرك غير مخصص بعبادة الأصنام؛ فإنّ الله تعالى كفر من تعلّق بالملائكة وعيسى والصالحين ونكفّرهم إنّما هو لكونهم داعين مع الله أحداً، فيكون فعلكم كعملهم، في كونه شركاً.

هذا مرّاه، لكنك خبير بأنّ هذه سفسطة واضحة؛ لأنّ التعلّق بالملائكة وعيسى والصالحين بصدق عليه العبادة، والدعوة مع الله أحداً بالبّهان المتكرر المتفرد، وهذا غير الاستنفاع بالنبي صلى الله عليه وآله والولي عليه السلام وبينهما بون بعيد، ونفاوت شديد، فلا يشابه ولا بدائيته، ويدرك ذلك من لا عيب فيه ودلالة الوجدان عليه تغنيه، وقد تكرر منا بيانه جواباً لتكرار برهانه، فإنّه حيث لم يكن عنده دليل على مدّعاء سوى ما ادّعاه أولاً وحققنا جوابه كاملاً، بكَرَر ذلك عبارات مختلفة غير فصيحة. ويلز منا التكرار رداً عليه وكلّنا عاد للإضلال عدنا عليه للاذلال.

إنّ عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضره

ثم قال القائل: «وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً فقل له: وما الشُّرك بالله؟ فسره لي فإن قال: هو عبادة الأصنام فقل: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي، فإن قال: أن لا نعبد إلا الله فقل ما معنى عبادة الله؟ فسرها لي، فإن قال بما فسره القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً لا يعرفه، وإن فسره بغير معناه بين له الآيات الواضحات في معنى الشرك، وما قاله عبدة الأوثان أنه الذي يفعلونه هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي الذي ينكرون علينا، ويصبحون كما يصبح إخوانهم حيث قالوا: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً هذا لشيء عجاب﴾^(١) انتهى

ومراد من هذا الكلام الطويل ما كرره سابقاً من أن عبدة الأصنام مفرون بالله الخالق الرازق المدبّر، ويستشفعون بالأصنام والصالحين للتقرب إلى الله، وهذا عين ما عليه أهل زماننا لكونهم مفرين بالله خالقاً ورازقاً ويستشفعون بالصالحين للتقرب إلى الله، ولكنك قد عرفت الجواب بما ذكرنا في المقدمات وغيرها.

ونحسب كلامه هنا أيضاً بتعبير أوضح فنقول في جواب السؤال عن تفسير الشرك أعني قوله: «ما الشرك فسره لي»: أن الشرك العبادة لغير الله بما يعبد به الله تعالى وحده، ومعناه أنه إذا تواضع

وخشع لغير الله بالخضوع والخشوع الذي يفعله الله من السجود والركوع والقنوت والدعوات الخاصة به تعالى فهو مشرك بالله وإن سُمِّي من فِعْلٍ له ذَلِكَ شقيقاً عند الله فضلاً عن أن يستبهِ إلهاً، ولا خفاء في معنى الشرك لغة وعرفاً حتى يحتاج إلى التفسير بعبادة الأصنام.

وكذا نقول في جواب السؤال عن معنى عبادة الله: إنَّ العبادة الشرعية والتكوينية قد بيَّناهما في المسقدمات؛ وهي نواقية يتوقف بيانها على تعيين النبي ﷺ، ولا يجوز التعدي عما بيَّنه ﷺ، ويحرم فعل ما عيَّنه الله عبادة لغيره تعالى، وعلى هذا فتفسير الآيات بما بيَّنه وفُسرَ هذا القائل تفسير بغير ما هو حقُّ التفسير لها، فيشملة قول النبي ﷺ: «مَنْ فسر القرآن براه فليتبوأ مقعده من النار»^(١) وقد فصلنا الفرق بين عمل عبدة الأصنام وعمل المستضعفين بالأنبياء والأولياء ﷺ فراجع ولكن:

لا تَزْعُمَنَّ يَا مَنْ لَهُ التَّدْبِيرُ فِي التَّفْسِيرِ

يُقبل لدى أحدٍ ماقلته بشقير

ماذا دعائك إلى الإصرار في حِمْق

تهجى به مرة أخرى يتكفير^(٢)

١- في المحارح ٣ ص ٢٢٢ ح ١٤ من فسر القرآن بغير علم...

٢- كذا.

ثم قال القائل : «فإن قال : إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنما كفروا لما قالوا : الملائكة بنات الله ، ونحن لم نقل عبد القادر ولا غيره ابن الله .

فالجواب أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لَأُولَئِكَ نِسْئَانٌ لَّيِّئُونَ﴾^(١) فالأحد الذي لا نظير له ، والصمد المقصود في الحوائج ، فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أول السورة ، ثم قال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٢) فمن جحد هذا فقد كفر وإن لم يجحد أول السورة ، قال الله تعالى : ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾^(٣) ففرق بين النوعين ، وجعل كلا منهما كفراً مستقلاً .

وقال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٤) ففرق بين الكافرين .

والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله والذين كفروا بعبادة الجن

١ - سورة الاخلاص ، الآية ١ - ٢ .

٢ - سورة الاخلاص ، الآية ٣ .

٣ - سورة المؤمنون ، الآية ٩١ .

٤ - سورة الانعام ، الآية ١٠٠ - ١٠١ .

لم يجعلوهم كذلك ، وكذلك العلماء في المذاهب الأربعة
يذكرون في باب حكم المرند أن المسلم إذا زعم أن الله ولدأ فهو
مرند ، وإذا دعا الله ندأ فهو مرند فيفرقون بين النوعين ، وهذا
غاية الوضوح انتهى .

و خلاصة السؤال والجواب :

أن اعتذار المستشفعين بالأنبياء والأولياء عن كفر المشركين
المستشفعين بالملائكة من باب قولهم بكونها بنات الله . وهذا العذر
غير مقبول ؛ لكون القول بذلك كفراً آخر غير الشرك بالله .

هذا ولكن احتمال اعتذار هؤلاء بذلك من الجهالة ، بل ناش من
الحماقة ؛ لأن الفرق بين الكافرين واضح لا يخفى على الجهال فضلاً
عن العقلاء والعلماء ذوي الأبواب . وما أجاب به هذا الفائل عن
السؤال إنما بنجه لفرض وجود سائل غير قابل بل أحق جاهل ،
وما يستحق الجواب أن يفرض السائل في مقام الفرق بين عملهم
وعمل المستشفعين بالملائكة من غير جهة قولهم يكون الملائكة
بنات الله ؛ لو صرح قولهم بكونها إلهاً معبوداً وكان عملهم على ذلك
وقولهم : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» أو «ليقرّبونا إليه زلفى»
اقرار منهم بما ينافي بحقيقة الاستشفاع فإن الاستشفاع بهذه
الكيفية لا يصدق عليه الاستشفاع . وإن المستشفعين بالأنبياء
والأولياء لا يعملون عملاً ينافي الاستشفاع . مع أن الاستشفاع

أمر يحتاج إلى إذن من الله للشفيع فيكون بالاستئذان إذناً للمستشفعين في الاستشفاع، وأنه لم يدل دليل على إذن الملائكة في الشفاعة فضلاً عن أصنامهم وأمثالها، والفرار عن جواب هذا الاعتراض بفرض السؤال المذكور، والجواب عنه بما لا يخفى على ذي مسكة مغلطة واضحة وسفسطة لائحة.

هذا كله مضافاً إلى أن الكفر علة واحدة ولو باختلاف الموجبات، وأي ربط بينه وبين اثبات الكفر بالاستشفاع بالكيفية المعمولة بين المستشفعين بالنبي ﷺ وأوصيائه ﷺ الذين لا يجعلونهم معبوداً، ولا يسمونهم إلهاً، ولا يعبدونهم نحو عبادة المشركين الذين سماهم الله تعالى مشركين، والقياس - مع بطلانه من أصله - فإن أول من قاس إبليس - لا يصح مع الفارق، والدعوة والاستغاثة اللتين ترجعان إلى دعوة الله والاستغاثة به تعالى ليس دعوة مع الله أحداً.

وبما ذكرنا ظهر لك أن عبدة اللات والجن كانوا عابدين لها كما ذكرنا مراراً لا مستشفعين نحو الاستشفاع بالأنبياء والأولياء ﷺ من المسلمين، والاستشهاد بمقالة العلماء في المذاهب الأربعة ليس منكراً ولا مربوطاً بالمقام.

إن كنت ذا بصر فالفرق منظور أن القياس بطل والذم مشهور^(١)

لكن يعين حسود كل واضحة^(١) تسر بحقد خفي وهو مستور^(٢)

ثم قال الفائل: «وإن قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) فقل هذا حق ولكن لا يعبدون، ونحن لا ننكر عبادتهم مع الله وإشراكهم معه، وإلا الواجب عليك حبهم واتباعهم والافرار بكراماتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال؛ ودبين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضاللتين، وحق بين باطلين» انتهى.

أقول: من السيطنة والغلطات المدرجة في هذا المقال تركه تقرب الاستدلال لعدم مناسبة جوابه لهذه الآية بالتفريب الذي لا يمكن الذب عنه، ونحن نستدل بهذه الآية بتفريب يعلم كل أحد عدم مناسبة الجواب معه، والعجب أنه ذكر هذه الآية وجعلها من المشابهات، وكأنه لم يعرف تقريب الاستدلال وهو بأن يقال: لما قال الله في مواضع من كتابه الكريم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عرفنا صدق هذا الكلام، ولما رأينا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْعَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبَ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا

١- كذا.

٢- كذا.

٣- سورة يونس، الآية ٦٢.

واردون^(١) عرفنا أن أولياء الله غير معبودين، وإلا لكانوا من أهل جهنم وكانوا خائفين محزونين، فنستدل بعدم الخوف عليهم وعدم حزنهم أن الاستشفاع بهم ليس عبادة ودعوة لهم، فمن جعل ذلك عبادة لهم مع الله فهو معاند لجوج ومجادل بجوج، مبطل في كلامه مضل في مرامه، وعليه وزر آثامه.

وإذا عرفت تقريب الاستدلال عرفت أن قوله: «هَذَا حَقٌّ، لَكِنْ «لَا يَعْبُدُونَ» تناقض في كلامه؛ لأنهم إن كانوا معبودين لا يمكنهم عدم الخوف والحزن بعد قول الله تعالى لمن يعبد سواه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الخ فلا بد أن يحمل ما يعمل بالنسبة إليهم من الاستشفاع على ما ليس بعبادة غير الله، ولا الدعوة مع الله أحداً مع أن الإقرار بكراماتهم في حياتهم إن كان بحصول ما يسألهم النَّاسُ مِنْ شِفَاءٍ مَرَضٍ، أو قضاء حاجة لهم؛ فليس ذلك إلا بسبب قبول شفاعتهم عند الله؛ فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا.

وكذا ما يظهر منهم بعد الممات بعد التوسل بهم عند قبورهم أو في غيرها؛ لا يحصل إلا بقبول شفاعتهم عند الله في محاولة عبده وإيمانه؛ فإنهم عليهم السلام حقيقة ليسوا بأموات، بل أحياء عند ربهم

١ - سورة الأنبياء: الآية ٩٨

يرزقون كما قال تعالى في كتابه العظيم : ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يرزقون﴾^(١) الخ.
وبالجملة كلما يحصل للناس بعد النوسل والاستشفاع بهم عند الله من قضاء الحوائج مثبت لكرامتهم و فريهم ووجاتهم عند الله،
ودليل على قبول شفاعتهم عنده تعالى.

كرامة الأولياء	شاهد صدي على
شفاعة المذنبين	لدى إله لسماء
يا أيها المذنبون	فوموا إلى المغفرة
من رحمته واسعة	شفاعة الشافعين



[الفرق بين شرك الأولين و شرك أهل هذا الزمان]
ثم قال القائل : «فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعنفاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وفاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين من شرك أهل زماننا أخف بأمرين :

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأسا في الشدة

١ - سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

فيخلصون الدين لله كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ فَلَمَّا نَجَّاکُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِلَاهَ تَدْعُونَ﴾^(٢) أَلْخ وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣) الآية وقال تعالى : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٤) الآية.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ، ويدعون غيره في الرِّخاء ، وأما في الضَّرَاءِ والشَّدَّةِ ، فلا يدعون إِلَّا الله وحده وينسون ساداتهم؛ تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، لكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً ، والله المستعان» انتهى .

أقول : للقايل في مقاله هذا دعويان :

١- سورة الإسراء: الآية ٦٧ .

٢- سورة الأنعام: الآية ٤٠ .

٣- سورة الزمر: الآية ٨ .

٤- سورة لقمان: الآية ٢٢ .

الأولى: تسمية عمل المشركين في زمانه اعتقاداً.

الثانية: أخفئة شرك الأولين عن شرك أهل زمانه؛ ليكون الأولين داعين لغير الله في الرخاء دون الشدة، بخلاف المشركين في زمانه؛ فإنهم يدعون غير الله في الرخاء والشدة جميعاً، وكلنا الدعويين ناشئة عن الجهالة والضلالة، أو إغفال لمن له رشد ونبالة.

توضيح ذلك: أن الاعتقاد عند من يسميه الفائل: «مشرِك زمانه» عبارة عن الادّعاء والتصديق القلبي بالتوحيد والنبوة الخاصة والحشر والنشر وصحة جميع ما جاء به النبي ﷺ من الأمور الاعتقادية القلبية، والنكاليف العملية الفرعية، ومن لم يعتقد بذلك كلاً أم بعضاً فهو كافر، وهذا الاعتقاد كُفِّ صار هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقائل رسول الله الناس عليه؟ والشرك النازل في القرآن على ما صرح به هذا الفائل هو الشرك في العبادة. ومشركو زمانه لا يعبدون غير الله نبياً كان أو ولياً، ولا يسمّون ما يعملونه من الاستشفاع والتوسل بهم اعتقاداً، فهذه النسبة لهم إمّا صادرة^(١) عن جهل القائل أو إغفال للسامعين. وأمّا أخفئة شرك الأولين عن شرك المشركين في زمان الفائل

١- في الأصل: صادر، والصحيح ما أثبتناه.

فكلام لا يحصل له دعوى ودليلاً.

توضيح ذلك: أما من حيث الدعوى فلإن الشرك والكفر ليسا من قبيل السواد والبياض، فيكونا مشككاً متفاوتاً بالشدة والضعف، وإلى ذلك يشار بقولهم: «الكفر ملة واحدة» ولا ينافي ذلك قوله تعالى ﴿أَشَدُّ كُفْرًا﴾^(١) فإنَّ الأشدّية^(٢) هناك من حيث ظهور الآثار لا من حيث كونه مشككاً ولو سلمنا كونه مشككاً، فكون الدعوة في الرخاء فقط أخف بالنسبة إلى الدعوة في الشدة والرخاء جميعاً غير معلوم، بل قولهم: «الضرورات تبيح المحذورات» يجعل الدعوة حال الشدة ملحقاً بالعدم فيتساويان.

وهذا النسليم مما شاة منا مع الخصم في نسبة الدعوة إلى المشركين في زمانه، وإلا فنحن منكرون لكون عملهم دعوة لغير الحق مطلقاً.

رغم تشكيكهم في دعوى

وأما عدم المحصل لدليله الذي أقامه على اختصاص دعوة المشركين لغير الله بحال الرخاء دون الشدة بل إنهم في الشدة يدعون الله فقط، فلأن الآية أعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾^(٣) فبيان لأمر

١- سورة التوبة الآية ٩٧.

٢- في الأصل: أشدّية. والصحيح ما أنشأه

٣- سور: الاسراء، الآية ٦٧

جبليّ للإنسان، فإنه عند الرخاء يتصوّر له أعواناً و أنصاراً من أب وأم وهرّب وصديق إلى غير ذلك يدعوهم لقضاء حوائجه، وفي الضراء ووقت الاضطراب الذي لا يجد من ذكر أحداً بقدر على كسلف كربته، فلا بدّ له من دعوة الله تعالى، وقد صحّ عن المعصوم: أن الذي تنكسر به السفينة في البحر ولا يرى من ينجيه يرى في نفسه وجود من هو قادر على نجاته؛ وهو الله تعالى^(١)، فيكون محصل معنى الآية أن الانسان - لكونه كفوراً عند الاضطراب - يتوجّه إلى الله تعالى دون غيره، وبعد حصول النجاة له عن الضرر والاضطراب نسي تلك الحالة، ورجع إلى الغفلة المعبر عنها بالإعراض عن الله؛ فإن الغفلة عن الله مثل الإعراض عنه تعالى في كونه غير متوجّه إليه.

وبما ذكرنا ظهر أن نسيان ما يدعو به المشركون المسار إليه بقوله تعالى: ﴿وَتَنَسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾^(٢) ليس أمراً اختيارياً لهم، بل الصرورة ندعوهم إلى دعونه تعالى فقط، ولازم ذلك نسيان ما بدعونه، فيكون التوجّه منحصرأ في التوجه إليه تعالى دون غيره بغير التفات واختبار؛ لافتضاء الجبلة، فلا يحمدون بذلك، كما أن

١- روى في توحيد الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يدل على ذلك فراجع ص ٢٢١

دعوة الغريق لله تعالى فقط أمر محبوب بغير اختياره، فلا يمدح عليه.

لا يقال: كيف يدعو بغير اختيار مع كونه عاقلاً مختاراً؟
لأننا نقول: إن الأمر المحبول عليه حاكم على الاختيار، بمعنى أنه يحصل من غير المختار؛ فإن امتصاص المولود أول ولادته لما يتغذى به من حلمة الثدي ليس باختيار منه والتفات لكونه يحكم الجهاد، ومع كون المصّ منسوباً إليه.

والحاصل أن ترك دعوة المشركين زمن النبي ﷺ لدعوة غير الله لبس باختيارهم، فلا يحمدون عليه، بل لنا أن نقول: إنهم في الرّخاء يدعون غير الله دائماً ولا يدعون الله في الرّخاء أبداً حتى يصدق أنهم يدعون مع الله أحداً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾^(١) الآية فهي نازلة في عتبة بن ربيعة أو غيره؛ حيث تركوا عبادة الأصنام عند الابتلاء ببلية، فلما رفعت عطاء من الله رجعوا إلى ما كانوا فيه من عبادة الأصنام واشتغلوا بالإضلال الذي كانوا عليه، وإن فرضناها عامة فسيبيلها سبيل الآيات السابقة في كون ذلك ممّا عليه الجبلة.

١ - سورة الرمر، الآية ٨.

وأما الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلُلِ﴾ الخ
 فإغفال عن المطلب، بإسقاط الآية المقدمة عليها، وإسقاط الذيل
 منها. وقام الآية بنفسها تدل على عدم ارتباطها بمطلوبه المستدل
 له بالآية وهي هكذا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ
 اللَّهِ لِيُزَيِّنَكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا
 غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ
 إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ مُخَفٍوْرٍ﴾^(١)
 فإنها كما نرى لا ربط لها بدعوة المشركين لله في السَّدة واختصاص
 ذلك بهم، بل بيان لحال نوع البشر الراكب في الفلك عند الابتلاء
 بهيجان البحر وهماجم الأمواج الموجبة لانكسار السفينة،
 وحصول الفرق لمن فيها، في إسقاط الآية الأولى وذيل الثانية أوْهَمَ
 ارتباط ذلك بمطلوبه، إغفالاً للناظرين.

وعلى هذا فقوله: «فمن فهم هذه المسألة» إلى قوله «تبين له
 الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين» كلام لا يحصل له، بل
 بوجب الحيرة والوله، كما أن مقالاته في الأمر الثاني مسجوبة^(٢)
 لذلك أبضاً، بل أنها لا تصدر^(٣) من وقبح أبْهَلِه؛ فإن قوله: «الأمر

١- سورة لقمان الآيات ٣٦-٣٢.

٢- في الأصل: موجب، والصحيح ما ذكرناه.

٣- في الأصل: يصدره، والأنسب ما ذكرناه.

الثاني أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله؛ إماماً نبياً أو ولياً، وإماماً ملائكة أو يدعون أحجاراً وأخشاباً وأشجاراً مطيعة لله وليست بعاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه، وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد ويشاهد فسقه وفساده ويشهد به» انتهى.

أقول: لبت شعري من المشركون - في زمان هذا القائل - الذين يدعون أناساً من أفسق الناس؟ والكلام من أول المقال إلى هنا متوجهاً إلى المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام المقربين إلى الله والموجهين عنده تعالى وإلى قبرهم عليهم السلام.

والحاصل أنا لم نعرف - بل لم نعهد من يدعو مع الله أناساً هم أفسق الناس على نحو دعوة المشركين للصالحاء، وما لا يعصى الله، وعلى من يعرفهم بيان أشخاصهم ومقرهم وأوطانهم، بل حالهم ومسلكتهم؛ لنعرفهم ونقول فيهم ما يستحقون!!

وبالجملة هذا الكلام إماماً افتراء وتهمة، أو خروج عن البحث تجاهلاً أو بفضلة؛ لأن دعوة الناس للفساق في حوائجهم - مثل سلاطين الجور وأتباعهم أو الأعمى يستغيث بكل من سمع صوت رحله، فيقول: يا رجلاً خذ بيدي، من دون مبالاة بأوصاف

المستغاث [به] من حيث الكفر والإيمان والفسق والعدالة - ليست تلك الدعوة المبحوث عنها الموجبة لكون الداعي بها مشركاً بالله تعالى، مع أنه لا مناسبة بين الأمرين حتى يلاحظ ما هو أقل فساداً وأهون قبحاً منها.

مخادعتك المنحوسة بالله باطله
مخالبك المنكوسة بالحق عاطله
وبيتك والحق الذي مسلك الهدى
جبال عنادٍ واللجاجة حائله
أراك بسكر الموت من ألم الأسى
عليك جنود الهيم والغم هاطله^(١)

[الفرق بين كفار زمان النبي ﷺ ورؤسنا]

ثم قال القائل: «فإذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً من هؤلاء فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون رسول الله ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون

١ - كذا، والآيات إلى نشر أقرب منها إلى الشر.

القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن
 محمداً ﷺ رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي
 ونصوم، فكيف يجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق
 رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في
 الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر
 بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة
 وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم،
 أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم يعتقد أناس في زمن
 رسول الله ﷺ بالحج^(١) أنزل تعالى فيهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
 الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
 عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع،
 وحلّ دمه وماله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ
 بِبَعْضِ وَنُكَفِّرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا
 أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾^(٣) فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن

١ - في الأصل: الحج، والصواب ما ذكرناه

٢ - سورة آل عمران الآية ٩٧

٣ - سورة النساء الآيات ١٥٠ - ١٥٦.

من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقاً؛ زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسل إلينا انتهى.

وخلاصة جوابه عن الشبهة المذكورة بعد تطويل الكلام بما ترى من كفر من أنكر ضروريات الدين أن هؤلاء منكرون للتوحيد الذي هو أعظم من سائر ما يتحقق به الكفر.

أقول: وهذا الجواب يرجع إلى ما أثبتته إلى هنا من أن المستشفعين بالأنبياء والأولياء بدعون مع الله أحداً؛ وهو إنكار التوحيد وإنكار التوحيد هو الشرك الذي في كتاب الله، فقول المعترض بأننا نشهد أن لا إله إلا الله، كذب واعتراف صوري بالتوحيد، ولا نصيب له من التوحيد شيء.

وأنت خبير بأن ما يذكر من نسبة إنكار التوحيد إلى مشركي زمانه مع قولهم وشهادتهم بأنه لا إله إلا الله ليس بأولى من أن يقال: إن مقالة المشركين في زمن رسول الله ﷺ بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله كذب وإثبات الشرك لله تعالى ذاتاً في العبادة، وقد استدللنا على إنكارهم التوحيد بقولهم: «اجعل الآلهة إلهاً واحداً»^(١) إلى غير ذلك فراجع إلى ما قدمنا لك.

ولنا أن نقول: أنتم الوهابية من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَقْتُلُوا مَنْ يَبِيعُ الْكِتَابَ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾^(١) حيث إنكم تؤمنون بأن التوحيد أن لا يدعو مع الله أحداً، وتكفرون بشفاعه الصالحين من الأنبياء والأولياء، وتقولون إن دعوتهم دعوة غير الله، وقد جعل الله تعالى للمجرمين شفعاء، وأعطى للنبي ﷺ الشفاعة، ومعنى إعطائه الشفاعة أن المستشفعين يلزمهم التماس الشفاعة لهم عند الله، فلا بد لهم من دعوة غير الله للشفاعة عند الله، وأنتم منكرون لذلك فؤمنون ببعض وكافرون ببعض، مع أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢) بشارة لهم بالكون مع النبيين في الجنة، ولا شك أن أهل العرف والعقلاء معترفون بأن المؤمن الغير المخالف لأحكام الله من الصلاة والحج والزكاة وغير ذلك المستشفع بالنبي ﷺ وأوصيائه عليه السلام، أولياء الله، ومحسوبون في المطيعين لله والرسول ﷺ ولا يصدق عليهم العاصي لله والرسول ﷺ فيلزم كونهم مع النبيين والشهداء والصالحين، ولو كان الاستشفاع الصادر منه بالنسبة إلى النبي والولي شركاً لما كان مع النبيين مع

١ - سورة البقرة - الآية ٨٥، وفي الأصل: أتؤمنون، والصحيح ما أنشأناه.

٢ - سورة النساء، الآية ٦٩، وفي الأصل: فأولئك مع السنين، والصحيح ما أنشأناه.

كونه مطيعاً لله والرسول ﷺ بحكم العرف والعقلاء، وهذا تكذيب
لكلام الله تعالى.

وإن شئت قلت: كما أن العلماء متفقون على كفر من أنكر شيئاً
من المذكورات، وجحدوها، كذلك العقلاء والعقلاء متفقون على
أن من أعتقد في قلبه وحدة الله تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلًا وعبادة لا
يكفر بطلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء، مع كونهم وجهاء^(١)
عند الله ومأذونين في الشفاعة للمسيئين والمجرمين، ولا يحسبه
العقلاء والعلماء بمن يدعو مع الله أحداً، ونسبة ذلك إلى هذا
السخص افتراء وإنكار لبعض الكتاب الجاعل لمن أطاع الله
ورسوله مع النبيين والصديقين، ولو كان الشخص من المشركين
لم يكن مع النبيين والصديقين الخ، وذلك واضح لمن تبصر
واستخير.

ومما ذكرنا في فساد هذا الجواب يظهر لك ما في قول هذا القائل
ما هذا لفظه: «ويقال أيضاً إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ
في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال
بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو
جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك لا يجحد هذا، ولا

١- في الأصل: وجهاء والصحيح ما أشتاه.

تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أنَّ التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والصَّوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكلِّ ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الَّذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحانه الله ما أعظم هذا الجهل ! انتهى .

وحاصل مقاله - بعد انحلاله - أنَّ إنكار التوحيد أعظم من إنكار غيره ، مما يوجب الكفر ودعوة غير الله معه إنكار للتوحيد . وهذا هو عمل مشركي زماننا .

أقول : سبحانه الله ما أعظم هذا الجهل أو التجاهل الَّذي يتعمده هذا القائل في جعل الاستشفاع بالأنبياء والأولياء دعوة لغير الحق ، ووضوح كون ذلك دليلاً على كمال التوحيد كالنار على المنار ، بل كالشمس في رابعة النهار ، وقد سبق منا بهانه فلا نعيد ما بان إعلانه .

يا أيها المجادلُ ما قلتهُ افتراءً دَع هذه الخديعة فبأنها هباء لا خير في مرامٍ تطلبه يجدي كبيت عنكبوت يفسده الهواء

[في قتال أصحاب النبي ﷺ لبني حنيفة]

ثم قال القائل : «يقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ

قائلوا بني حنيفة وقد شهدوا مع النبي ﷺ أن لا إله إلا الله وأن
 محمداً رسول الله ﷺ ويصلون ويؤذنون؛ فإن قال: إنهم يقولون
 إن مسيلمة نبي قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع مرتبة
 رجل في مرتبة النبي ﷺ كفر وحلّ دمه وماله ولم تنفعه
 الشهاداتان، فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف أو صحابياً أو
 نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض سبحانه الله ما أعظم
 شأنه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) انتهى.
 وخلاصة كلامه أن إعلاء مرتبة غير المستحق لمرتبة كفر،
 فكما أن جعل مسيلمة نبياً في مقابل النبي ﷺ كفر، فكذلك جعل
 الآلهة مع الله. ودعوى غير الله تعالى كفر بطريق أولى وهذا عمل
 المشركين في زماننا وفعالهم.

أقول: هذا الكلام من المسكلم به دليل على كمال حمقه وسفهه،
 وكونه مكابراً مفسداً. وأما دلائله على الحمق والسفه فلأن من
 قال بنو مسيلمة الكذاب فقد كذب رسول الله ﷺ ومن كذبه
 كذب الله تعالى، والصلاة والشهادتين والأذان لا أثر لها لغير
 المصدق لله ورسوله.

توصيح ذلك: أن القول بنو مسيلمة إنكار لكون

رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وتكذيب لقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(١) و: ﴿وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾^(٢) ولقوله ﷺ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» و«حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» فقال له أصحاب رسول الله ﷺ هم ليس لرفعهم مرتبة مسيئة لمرتبة النبي ﷺ، بل لتكذيبهم الله ورسوله، وليس في فعل المستشفعين بالأنبياء والأولياء تكذيب لله ورسوله أو رفع مرتبة أحد إلى مرتبة جبار السماوات والأرض.

وأما دلالته على المكر والفساد فلأن الاستشهاد بمقالة أصحاب رسول الله ﷺ لبني حنيفة أتباع مسيئة بفصده تهميج أتباع عبد الوهاب على سفك الدماء ونهب أموال المسلمين بعنوان الكفر المحلل للدم، وهذا مكر يوجب الفساد في الأرض، وقد عين الله جزاءه في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) الآية نعوذ بالله من شر الناس السابحين للخناس الذي يوسوس في

١- سورة الفتح الآية ٢٩.

٢- سورة الأحراب الآية ٤٠.

٣- سورة المائدة الآية ٣٣.

صدور الناس، وهو الوسواس الذي أمر الله تعالى نبيه الأكرم ﷺ بالاستعاذة من شره في آخر سورة من كتابه تعالى. وقد علمنا بالعقل والنقل الصحيح أن للباطل جولة وللحق صولة ودولة: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وهو تعالى يعلم من طبع قلبه ويعلم المهتدي العليم من الضالّ الرجيم.

ثم قال القائل: «ويقال أيضاً الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار كلّهم يدعون الاسلام، وهم من أصحاب علي عليه السلام، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن لما اعتقدوا في علي عليه السلام الاعتقاد ببوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أنظنون الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضرّ والاعتقاد في علي بن أبي طالب عليه السلام بكفر؟» انتهى.

وخلاصة مقال هذا السفه التويه بما لا يغتر به العاقل النبيه: فإن كلمة الغلاة وأفعالهم شرك صريح وهي تسمية علي عليه السلام إلهاً ودعوتهم أحداً مع الله وحرّقهم وقتلهم وظيفة للصحابة وجميع المسلمين، ودعواهم الفاسدة^(١) مع تكذيبهم لولي الله الذي هو تكذيب لله ورسوله غير مفيد جزماً؛ فإنّ علياً عليه السلام نهاهم عن هذه

١- هي الأصل: الفاسدة. والصحيح ما أنشأ.

المقالة لما نفعهم كلامه ﷺ ، فقياس المستضعفين بالأنبياء والأولياء ،
على الغلاة قياس مع الفارق وتوحيه غير لائق .

فعمل الصحابة لتكفير بموقعه

وَضَعُ لَأَهْلِ الْحَقِّ لِلْحَقِّ بِمَوْضِعِهِ^(١)

ليس القياس لأعمى بالبصر سوى

إبطال حقَّ يبين جهل موقعه

[تكفير العلماء لبني عبد القدامى]

ثم قال القائل : « ويقال أيضاً بنو عبد القدامى الذين ملكوا
المغرب ومصر في زمن بني المباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا
الله وأنَّ محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة
والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن
فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد
حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد
المسلمين » انتهى .

وظهور مراده من هذا الكلام أغنانا عن بيانه وكونه سفسطة
وتوحيها ظاهراً من عنوانه .

نوضيح ذلك أريد مما هو ظاهر أن الاستدلال بفعل سلاطين
 الجور، وحكم علمائهم الذين ما تركوا غيباً إلا أرتكبهوا كفتوى
 قضاء زمن سلطنة يزيد بن معاوية لعنه الله بمقاتلة الحسين عليه السلام سيد
 الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليهم السلام، ومقاتلة معاوية
 والخوارج لعلي عليه السلام بن أبي طالب عليه السلام دليل واضح على بطلانه
 خصوصاً إذا لم يتعين أن ترك بني الفداح للشريعة ومخالفتهم في
 أشياء كيف كانت هل كان من إنكار بعض ضرورات الدين أو
 تحليلاً لحرمانه الضرورية أو غير ذلك فلم يعلم وجه المقاتلة، بل
 مقاتلة المسلم الفاهر الجبار مع المسلمين للأغراض الدنيوية
 لبست بأول قارورة كسرت في الإسلام، بل مقاتلة بعض العرب
 بعضاً فأنزلين بأن الغزو كسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفضايا المعروفة.

كفر تكفير
 [تشمول التكفير حتى لمن مزح بكلمة الكفر]

ثم قال الفائل: «ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا
 جمعوا بين الشرك ^(٢) وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث
 وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب
 حكم المرتد بعد إسلامه، وذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها

١- في الأصل، مع علي والصحيح ما أشتاء.

٢- كذا.

بكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء بسيرة عند فعلها مثل كلمة بذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة ذكرها على وجه المزح واللعب انتهى.

وحاصل كلامه أن الكفر غير منحصر بالشرك وإنكار الرسول ﷺ والقرآن والبعث؛ لوجود أشياء توجب الارتداد عن الإسلام بمجرد النطق بها ولو من غير عقد القلب عليها.

أقول: ارتباط هذا المطلب بكون المستنفعين بالأنبياء والأولياء كفاراً ومشركين بنفس الاستنفاع غير معلوم؛ لأنه إن أراد بذلك إن من جملة ما ذكره العلماء في أنواع الارتداد هو هذا الفعل، فكذبه أوضح من أن نرى؛ إذ لم يحدث هذا الكلام من أحد قبل الوهابية، وإن أراد أن فعل هؤلاء المرتدين بالنطق بكلمة مزحاً أبسر من فعل هؤلاء المشركين في زمانه فهو عين المدعى فيكون مصادرة [على] المطلوب.

ولنا أن نقول إن النطق بكلمة موجبة للارتداد موجب للكفر حقيقة سواء كان مع عقد القلب عليها أو كان مزاحاً؛ لرجوع هذين الفعلين إلى إنكار عظمة الله وجبرونه. وهو تكذيب لله ورسوله ﷺ في إثبات العظمة والجبروت له تعالى.

وأما الاستنفاع بالأنبياء والأولياء ﷺ فنأش عن كمال التصديق بعظمة الله تعالى؛ فإن تقديم العبيد المقصرين للاستنفاع

عند الولي دليل على كمال الاعتناء بعظمة المولى وجبروته . وأمن
هَذَا من مزاح العبد مع مولاه .

الكفر قد يحصل بالآهانه لا سيما ممن به المهانه
ليس لعبد مزحه لمولاه ولا له ملعبة الرّهانه

ثم قال القائل: «ويقال أيضاً الذين قال الله تعالى فيهم:
﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
إِسْلَامِهِمْ﴾^(١) الخ أما سمعت الله كفرهم مع كونهم في زمن
النبي ﷺ يجاهدون معه ، ويصلون معه ويحجّون ويذكّون
ويوحدون الله وكذلك في الَّذِينَ قال الله فيهم: «أبائهم وآبائهم
وَزُسُومِهِمْ كَانَتْ تُفْسِدُهُمْ» لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ»^(٢) الخ فهؤلاء الَّذِينَ صرّح الله أَنَّهُمْ كفروا بعد إيمانهم ،
وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أَنَّهُمْ
قالوها على وجه المزح واللعب .

فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم: أتكفرون المسلمين أناساً
يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويصلّون ويصومون ويحجّون ثم
تأمل قبي جوابها ، فانه أنفع ما في هذه الأوراق انتهى .

١- سورة التوبة: الآية ٧٤ .

٢- سورة التوبة: الآية ٦٥ - ٦٦ .

وحاصل مقاله - مع حذف من أماله^(١) - أن الأمور المذكورة دلت على تجويز حصول الكفر بعد الإسلام والإيمان بكلمة الكفر، فلا بأس بتكفير المسلمين الذين هم كفار زماننا بما يصدر منهم بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء وقبورهم.

أقول: مضافاً إلى ما عرفت في كلمتنا السابقة من أن الارتداد وحصول الكفر بعد الإيمان أمر لا ينكر، لكن الشأن في بيان سبب حصوله، وفي أن عمل المستشفعين بالأنبياء والأولياء بوجوب الارتداد أم لا؟ فإثبات وفوق الارتداد أو تجويز تكفير المسلم بعد الإسلام بما يوجب الارتداد لا يثبت كون عمل هؤلاء ارتداداً. ومراد من يقول: «هل تكفرون المسلمين» أن المسلم الفغير الصادر عنه كلمة الردة، لا يجوز تكفيره، لأن الارتداد عن الإسلام غير ممكن، أو أن تكفير المسلم بعد الارتداد غير جائز حتى تكون الأدلة المذكورة دليلاً على الجواز.

ثم إن الآية نزلت في حق رجل من المنافقين حضر واکباً على حمار ليصد الناس عن غزوة تبوك. وكان سابقاً لرسول الله ﷺ، فبلغه ذلك، ولما عاتبه ﷺ على ما قاله حلف على عدم صدور الكلمة الموجبة للكفر منه، فاخبر الله تعالى نبيه ﷺ بكذبه في

حلفه^(١). ومن المعلوم أن سب النبي ﷺ كفر وأرصاد، وكذلك الاستهزاء بالله وأبائه ورسوله ﷺ وكذلك المزاح واللعب مع الله ورسوله، كل ذلك موجب للارتداد عن الإسلام كما قدمنا آنفاً نظماً ونثراً.

ثم قال القائل: «ومن الدليل على ذلك ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع صلاحهم وعلمهم أنهم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٢) وقول أناس من الصَّحابة: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(٣) ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصَّة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل يكفروا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواطٍ.

فالجواب أن تقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك

١-راجع سبب نزول الآية في مجمع البيان، ج ٥، ص ٧٨، ط دار المعرفة بيروت

٢-سورة الاعراف: الآية ١٣٨

٣- الصراط المستقيم ١٠٧-٩، والبخاري ٦٧، والفضة بكاملها في سرية ابن هشام،

ج ٤، ص ٤٤٢، وذات أنواط هي شجرة كانت تعدها قريش ويطؤون عليها النصر وغمر من المأكولات.

لكفروا، وكذلك الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه وآخذوا ذات أنواط بعد نهيهم لكفروا وهذا هو المطلوب. ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التسلم والتسحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: «التوحيد فهمنا» من أكبر الجهل ومكاييد الشيطان، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام الكفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا رسول الله ﷺ تفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغفل عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ انتهى.

وخلاصة كلامه إثبات مرامه الذي هو إمكان صدور كلمة الكفر بعد الإيمان كما صدر من بنى إسرائيل حيث قالوا: ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ وصدر أيضاً من أصحاب رسول الله ﷺ حيث سألوه جعل ذات أنواط لهم. لكن التعجب من هذا القائل من وجهين:

الأول: قوله مع صلاحهم وعلمهم، حيث إنه لم يعلم السائلين بأشخاصهم حتى يحكم عليهم بكونهم صالحين عالمين. فهذا الحكم منه تخرص بالغيب.

الثاني: في تكذيب موسى بل القرآن بقوله: «مع صلاحهم» فإن قول موسى ﷺ في جوابهم: ﴿إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبرأ مما

هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَسْعَفُونَ»^(١) وقوله ﷺ: «أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢) صريح في كون سؤالهم عن معنى الألوهية الغير القابلة للتعدد وأن هؤلاء القائلين بذلك هالكين بما هم فيه لقوله ﷺ: «عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ عَنْ سُؤْلِهِمْ: «أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهَا» مَعَ أَنَّهُ فَضْلُكُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، فَلَا يَنْبَغِي هَذَا السُّؤَالُ عَنْ مَسَلِكِمْ.

وحلف رسول الله ﷺ أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ سُؤْلَكُمْ عَنِ الْجَهْلِ، وَهَذَا سُؤَالٌ عَجِيبٌ مِنْكُمْ، وَجَوَابُ هَذَا الْقَائِلِ عَنْ سُبْهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَانِهِ وَاصْطِلَاحِهِ أَعْجَبُ مِمَّا تَقْدَمُ، فَإِنَّ شَبَهَتَهُ تَخْطِئُهُ فِي الْإِسْدَلَالِ بِأَمْرٍ غَيْرِ وَافِعٍ، مَعَ كِفَايَةِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْوَاقِعَاتِ فِي إِثْبَاتِ مَطْلُوبِهِ، بَلِ الْمَطْلُوبُ مَهْمُ وَلَيْسَ بِأَمْرٍ قَابِلٍ لِلانْتِكَارِ، فَمَعَ كِفَايَةِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ لَاحْتِجَاجُهُ إِلَى دَلِيلٍ لَيْسَ لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَطْلُوبِ.

والجواب بأنهم لو فعلوا كفروا غير صحيح؛ لأنه لو لم يكن ذلك أعني الارتداد بعد الإيمان مسلماً، ولم تكن الآيات دالة عليه لم يكن هذا الأمر التعليقي أعني لو فعلوا كفروا مع سؤالهم من موسى جعل الآلهة أو من رسول الله ﷺ ذات أنواط دليلاً على أنهم

١ - سورة الأعراف: الآيات ١٣٨ - ١٣٩.

٢ - سورة الأعراف: الآية ١٤٠.

كانوا معتقدين بإمكان ذلك للنبيين لا غير، وأن هؤلاء الآلهة كان يجعل نبيهم فإن [ولو خل] لم يكونوا معتقدين لما كانوا يسألون وكانوا يفعلون مطلوبهم لقدرتهم عليه وعدم الحاجة إلى الغير.

وأما الفوائد التي ذكروها لهاين القصتين فأباطيل لا يصلح ولا يليق التعرض لها كما لا يخفى على الناقد البصير، بل على من له تمييز قصير. بل لم يكن ما كتبه من أول الأوراق إلى هنا لائقاً للجواب وبيان بعده عن الصواب، وكانت^(١) كلها أباطيل لا تسنح التعرض لها بالاختصار أو التطويل. وبالإجمال أو التفصيل، ولكننا تعرضنا لجوابها رفعا لتوهم الجهال صحّة المقال أو توجه الاشكال، ورجاء لتنبيه صاحب المقال عما عليه من الضلال، والله المتعال الموفق لحسن العافية والمآل.

[إنكار المنجي على أسامة]

ثم قال القائل: «وللمشركين شبهة أخرى؛ وهي أنهم يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»^(٢) وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(٣) وكذلك أحاديث أخرى

١- هي الأصل: كان. والأنسب ما ذكرناه

٢- البحار ٢١ / ٦٥، ١٢.

٣- البحار ٨ / ٣٦٨، ٤٦.

في الكُفِّ عَمَّن قال: لا إله إلا الله ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء: الجَهَال معلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وبصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهؤلاء الجهلة مقرِّون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأنَّ من أنكر شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي أساس دين الرسل ورأسه.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعى الإسلام بسبب أنه ظنَّ أنه ما ادَّعاه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكُفِّ عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١) الآية فالآية تدل على أنه يجب الكُفِّ عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها فمحتاها ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقنته بعد ما قال لا إله إلا الله»^(١) وقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٢) هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقبتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٣) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهللاً، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا أدعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرنا من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»^(٤) الآية وكان الرجل كاذباً عليهم، فكل هذا يدل أن مراد النبي ﷺ بالأحاديث الواردة ما ذكرناه انتهى.

١- البحار ٢٦/٦٥.

٢- البحار ٨/٣٦٨.

٣- البحار ٢٣/١٣٣، ٥٧٦، كشف المنة ١٢٩، ١.

٤- سورة العنكبوت الآية ٦.

وخلاصه مرامه الذي عليه وزر آثامه أن المشركين في زمان
 هذا القاتل لهم شبهة أخرى؛ وهي أنهم استفادوا من اعتراض
 النبي ﷺ على أسامة بقتله من قال: لا إله إلا الله، وقوله ﷺ: «أمرت
 أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وغير ذلك من
 الأحاديث أن قول: لا إله إلا الله مانع عن القتل والكفر، ولو فعل
 ما فعل فاعترض على ما استفادوا - بزعمه الفاسد ورأيه الكاسد -
 بما ذكره سابقاً من قتل أصحاب رسول الله ﷺ بني حنيفة القائلين
 لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهم يدعون الإسلام، وكذلك حرق
 على ﷺ بن أبي طالب القائلين بهذا القول، فلا معنى للشبهة، مع
 أنهم يكفرون منكر البعث وضروريات الإسلام، وإن قالوا هذه
 الكلمات، ثم فرّج على ذلك أن إنكار التوحيد أشد من إنكار البعث
 والضروريات، وغرضه من هذا الكلام أن المشركين في زمانه
 منكرون للتوحيد وإن نطقوا لا إله إلا الله؛ إذ لا منافاة بين هذه
 الكلمة والكفر.

هذا ملخص كلامه جواباً وتفرعاً لاستنتاج مطلوبه، وأنت
 خبير بأن ما استفاده من مقالة اعتراض الرسول ﷺ على أسامة
 وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتلكم حتى تقولوا لا إله إلا الله» غلط
 فاحس لم يختلج ببال المناقش؛ فإن قوله: «ومراد هؤلاء الجهلة
 أن من قالها لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل» مناقض لقوله:

«وهؤلاء مفروء أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله» وليب شعري كيف يمكن الجمع بين القول بأن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل. ولو فعل ما فعل، وبين الإقرار بأن منكر البعث وأركان الإسلام كافر يجب قتله وإن قال لا إله إلا الله وكبف يمكن بين الجمع أن يقول إن كلمة لا إله إلا الله لا تنفع في منع القتل عن منكر الفروع فيقتل وإن قال: لا إله إلا الله ولكن تنفع في نفي التوحيد. فلا يقتل منكراً بعد قول لا إله إلا الله، وأيضاً كيف بتصوّر إنكار التوحيد ممن يقول لا إله إلا الله فإن المستفاد من هذه الكلمات إثبات التوحيد لا نفيه وإنكاره.

والجمع بأنه بالقول اللفظي يثبت وهو في قلبه منكر إما مخترص بالغيب أو ينتهي إلى دعوى علم الغيب؛ فإن ثبوت التوحيد بهذه الكلمة معلوم، ولا بد لمن يدعي إنكاره القلبي أن يستدل بما يكشف عن ذلك فعلاً أو قولاً، والإنكار القولي مفروض عدمه ولا كاشف عن الإنكار القلبي في الأفعال الخارجية عن القول، فينحصر في دعوى علم الغيب إما مطلقاً؛ فيكذبه الوجدان أو الخصوص من هذا المطلب؛ فيكون دعوى بلا دليل وتخرصاً بالغيب. فإن قلت: دعوتهم لغير الله شرك وهو أمر ظاهر.

قلت: هذا غلط لأن دعوة غير الله شرك إن لم يرجع إلى دعوة الله الحق، وهو مناف لقول لا إله إلا الله إن لم يؤل أمره إلى دعوة الله

تعالى وإثبات ذلك بالنسبة إلى من بعده مشرك زمانه أول الكلام، وأمر لم يدل عليه دليل عقلي ولا نقلي، وكلما ذكره الفاضل سابقاً كان مصادرة على المطلوب كما أشرنا إليه مراراً.

ومن أقيع القبايح وأفضح الفضائح ما أرتكبه هذا الفاضل في قوله: «وللمشركين شبهة أخرى» من حيث نسبة الشرك إلى علماء المسلمين ثم نسبة الجهل إليهم بقوله: «فيقال لهؤلاء الجاهل» ثم نسبة العداوة لله إليهم بقوله: «فإن أعداء الله لم يفهموا معنى الأحاديث».

نوضح ذلك أن نسبة الشرك بزعمه الفاسد إنما هو لدعوتهم لغير الله تعالى، ونسبة الجهل إليهم حسب اعتقاده الكاسد إنما هو لزعمه عدم فهمهم معنى الأحاديث فتبقى^(١) نسبة عداوة الله إليهم من غير دليل بوجوبها، فلا يحمل هذه النسبة إلا العناد والسجاج والعداوة معهم الموروثة^(٢) من جعل الاستشفاع بالأنبياء والأولياء دعوة لغير الحق الموجبة للشرك وعدم فهم معنى الأحاديث الذي نسبها^(٣) إليهم كيف يمكن تصديقه مع أن عامي أهل اللسان يعرفه، بل لا يمكن أن لا يفهمه من له أنس بلسان

١- في الأصل: فيبقى، والصحيح ما أشتاء.

٢- في الأصل: الموروثة، والصحيح ما أشتاء.

٣- في الأصل: نسبة، والصحيح ما أشتاء.

العرب، وليس ذلك كله كاشفاً عن جهل القائل وفوله^(١) بهوى نفسه ومرض في قلبه. فزاده الله مرضاً وله عذاب عظيم، وكيف لا يكون كذلك مع أن التوبين المستفاد من قوله ﷺ: «أفئنه بعد ما قال لا إله إلا الله» دالٌّ على تركه ما كان يجب فعله وهو التبين والتثبت، بل قوله ﷺ في القصة «هل شققت عليه؟» كناية عن أن عدم التبين وحمل قوله لا إله إلا الله على الخوف على دمه وماله فعل غير لائق، وترك لما يجب فعله، وليس هذا معنى لا يفهمه الجاهلون فضلاً عن العلماء. وهذا دليل على أنهم لم يقولوا ولا يقولون أن من قال: لا إله إلا الله لا يقتل ولا يكفر، وإن فعل ما فعل، فهذه النسبة إليهم كذب وأفتراء وبهتان واجترأ ونفول؛ اللهم سبحانه! هذا بهتان عظيم^(٢) لكن هذا القائل لما لم يفهم تقريب الشبهة وقع في الضيق والحيص والبيص، ولم يدر ما يقول، ونحن نقرّر الشبهة، حتى يعلم مراد العلماء.

وحاصله أن رسول الله ﷺ عاتب أسامة ووبّخه على ترك ما يجب فعله من التثبت على القائل بكلمة لا إله إلا الله، والمساورة إلى قتله بزعم كون قوله ذلك للخوف على دمه وماله، ومثل هذا وارد على الوهابية المفاتلين للقائلين بهذه الكلمة من غير تثبت لما

١- كذا.

٢- سورة النور: الآية ١٦

يجوز تكفيرهم ونسبة الشرك إليهم.

وبعبارة أخرى كما كان قتل من قال لا إله إلا الله فبِحأ فعله أسامة فكذلك نسبة الكفر والشرك إلى المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام القائلين بهذه الكلمة فيبيح فعله الوهابية في الواقع ونفس الأمر لم يفهم هذا القائل الكاتب للأوراق مراده من وجه الشبهة عليهم.

والحاصل أن هذا القائل بأن من قال: لا إله إلا الله لا يجوز ترتيب آثار الكفر عليه إلا بعد التبين كما هو مدلول الآية بقوله: «إِنْ مِنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَالْفُوحِيدَ وَجِبَ الْكَفُّ عَنْهُ إِلَى إِنْ يَتَبَيَّنَ مَا يِنَاقُضُهُ» اعتراف بفتح الحكم بالشرك لكل من قال لا إله إلا الله في زمانهم إلا بعد التبيين والتثبت. والعلم بما يوجب كون القائل بهذه الكلمة مرتدًا عن الإسلام. وليس أمر هؤلاء كذلك بمتنا؛ لعدم ما يوجب ارتداد المستشفعين في زمته إلا دعوى كون الاستشفاع دعوة مع الله أحداً، وقد منعناها، بل أبيننا كون نفس الاستشفاع دعوة لله تعالى.

وظهر مما ذكرنا أن قوله: «والدليل على هذا (بمعني وجوب الكفر عن أظهر الإسلام إلى أن يظهر ما يناقضه) أن رسول الله ﷺ قال (يعني لأسامة): «أفتلته بعد ما قال لا إله إلا الله»، وقال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو

الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» إِلَى آخِرِ
كَلَامِهِ؛ أَعْنَى قَوْلُهُ: «لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مَخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ» تَطْوِيلٌ بِلَا
طَائِلٍ وَأَسْتِدْلَالٌ بِلَا حَاصِلٍ يَظْهَرُ وَجْهَهُ مِنْ أَوَاخِرِ كَلِمَاتِنَا وَالْأَوَّلِ.
ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ جَعَلَ ظُهُورَ كُفْرِ الْخَوَارِجِ بِمَخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ
لِلْإِغْفَالِ وَتَسْمِيَةِ الْاسْتِدْلَالِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَخَالَفَتُهُمُ الَّتِي وَقَعَتْ
مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ بَيَانَ مَخَالَفَتِهِمْ مُوجِبٌ لِإِفْحَامِهِ وَإِذْعَانِهِ بِبُطْلَانِ
أَسْتِدْلَالِهِ بِلِ كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ.

بَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ مَخَالَفَةَ الْخَوَارِجِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِنَّمَا صَارَتْ
بِسَبَبِ قَبُولِهِ الْحُكْمَ فِي وَقْعَةِ صِفِّينَ، فَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَنَسَبُوا
فِعْلَ عَلِيِّ عليه السلام إِلَى الْخَطَا، وَحَكَمُوا بِوُجُوبِ قِتَالِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ
الْمَخَالَفَةُ نَاشِئَةً عَنْ تَفْسِيرِهِمُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِمْ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ مَعْنَى
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ ^(١) وَقَعُوا ^(٢) بِذَلِكَ فِي الْكُفْرِ الْعَظِيمِ
وَهُوَ الْخُرُوجُ عَلَى إِمَامِ زَمَانِهِمْ بِالسَّيْفِ وَصَارُوا كُفَّارًا كَفَرَهُمُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، وَقَالَ: «لَا قِتْلَ لَهُمْ» الخ.

وَكُلٌّ مِنْ عِلْمِ هَذِهِ الْقِصَّةِ رَأْيُ بَعْضِ الْإِنْصَافِ أَنَّ فِعْلَ الْوَهَابِيَّةِ
هُوَ فِعْلُ الْخَوَارِجِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ فَتَرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:

١- سورة عاfer، الآية ١٢، وفيها: «الْحُكْمُ

٢- فِي الْأَصْلِ: فَوَقَعُوا وَالصَّحِيحُ مَا أُشْتُتَاهُ.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) حسب رأيهم الفاسد ونظرهم الكاسد، وهوى أنفسهم، وميلهم إلى القتال، ونهب أموال الناس، واستحلال نسائهم، وسبي ذرارهم كفعل فرعون في بني إسرائيل، وقالوا: إِنَّ الاسْتِشْفَاعَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ دَاخِلٌ فِي مَعْنَى دَعْوَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وجعلوا ذَلِكَ كُفْرًا وشركاً مبيحاً للذم والمال والعرض، وهو مخالفة واضحة لواقع معنى القرآن، فيمكن إلحاقهم بالخوارج بما يفعلون.

بل ويمكن دعوى شمول قول رسول الله ﷺ بالنسبة إلى الخوارج للوهابية بالمناط القطعي؛ وهو مخالفة الشريعة بتفسير القرآن بالرأي، وترتيب الآثار على رأيهم المخالف لقول إمام الزمان عليه السلام.

وبما ذكرنا ظهر أيضاً فساد قوله: «وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ وَالصَّحَابَةِ لِبَنِي حَنِيفَةَ» إلى آخر كلامه الَّذِي قَالَ فِيهِ «إِنَّ مَرَادَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا ذَكَرْنَاهُ» ولا حاجة إلى تكراره وذكره، فَإِنَّ ذِكْرَ الْفَبِيحِ فَبِيحٌ، ولعمري أَنَّهُ وَقِيحٌ.

بَنَيْتُ بَيْتًا بِلاَ أَساسٍ وَقِسْتُ حَكْمًا بِلاَ مِقياسٍ
ما حَزَتْ مِنْ ذَا شَيْئاً سِوى أَن جَمَعْتُ جِمعاً شَرَّ أَناسٍ

١- سورة العن: الآية ١٨ وفي الأصل لا، والصحيح ما أنشأه.

غداً تنادي باليتي كنت تراباً وواشجوراً من الوسواس^(١)

[في بيان أن الناس يوم القيامة يستشفعون بالنبي ﷺ]
ثم قال القائل: «ولهم شبهة أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ أن
الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم، ثم
بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى
رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست يشرك.
فالجواب أن تقول: سبحانه من طبع على قلوب أعدائه، فإن
الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى:
﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٢) وكما يستغيث
الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في الأشياء التي يقدر عليها
المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور
الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فلاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم
أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من
كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل

١- كذا، والأنبات جميعها غير مستعمه الوزن كما هو الحال في أكثر أبيات الكتاب.

٢- سورة القصص الآية ١٥.

صالح حتى يجالسك وبسمع كلامك تقول له: أدع لي كما كان أصحاب رسول الله يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلاً أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه» انتهى .

أقول: لما كان من شأن الباطل أن يظهر بطلانه وفساده بنفسه ، وقع القائل في مقام اعتراف ببطلان ما أئتمه من أول الأوراق إلى هنا من حيث لا يحسب ولا يشعر .

توضيح ذلك : أنه من أول كلامه المذكور في هذه الأوراق كانت أسدلالاته متوجهة إلى أن الاستشفاع دعوة لغير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لا تدعوا مع الله أحداً ﴾ والسفاعة كلها لله ، فلا بد أن يقول الموحد : اللهم لا تحرمي سفاعة النبي ﷺ أو سفاعة في ، وكذلك الاستغاثاة والنجاة بغير الله تعالى دعوة مع الله أحداً ، وفي الجواب عن هذه الشبهة أعترف ببطلان ذلك الكلام ، واعترف بأن الاستشفاع في أيام حياتهم وفي القيامة والمحشر غير منكر عندهم ، بل المنكر الوجه إلى الأنبياء والأولياء والاستشفاع والاستغاثاة هم عند قبورهم .

وعلى هذا فالتعجب الظاهر من قوله : «سبحان الله من طبع على قلوب أعداء الله» فإن الاستغاثاة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها» الخ مع إطلاق كلماته السابقة الشامل لكل توجه إلى غير

الله، بل نصرحجه بالكفر في خصوص الاستشفاع أيضاً ينبغي أن يعجب من قوله: «ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله» فإنه يدل على أن مراده من دعوة غير الله والدعوة مع الله هو هذه الاستغاثة التي ذكرها هنا، ومع عدم ذكر ذلك ينسب المخالف له إلى كونه مطبوع القلب من الله تعالى مع أن نسبة العداوة لله تعالى إلى الفاعل لهذه الاستغاثة تدل على كمال العناد مع الحق، فإن هذا العمل على تقدير تسليم كونه على خلاف العقل - يصير عملاً لغواً لا أنه يوجب الشرك والكفر، ولا يجعل فاعله عدواً لله، يعرف ذلك كل عارف بطريق المحاورة وأساليب المخاطبة والمحاضرة.

وبالجملة خلاصة كلام القائل بعد إنكار كلماته السابقة أن بشفاعة الأنبياء يوم القيامة للاستراحة من كرب الموقف، فيجوز الاستشفاع بهم هناك وفي زمان حياتهم، كما أن التماس الدعاء من الصالحين المجالسين معك السامعين لكلامك جائز لا بأس به، وأصحاب رسول الله ﷺ في حياته كانوا يسألونه حاجاتهم، وأما بعد مماته فلم يصدر منهم ذلك، والسلف من العلماء والأكابر أنكروا على من قصد دعاء الله عند قبره ﷺ فضلاً عن دعائه بنفسه.

والجواب عن هذا المقال المزخرف والضعيف المضعف من

وجوه نبهتها ونوضحها بعد التنبيه على أنحصار الدّعى فيها أجمالنا
 بيانه ونفصيله - أن هذا الغائل كان يدعى من أول كلامه إلى هنا أن
 الاستغاثه والاستشفاع بغير الله والنوحه إلى غيره تعالى شرك
 وكفر؛ لكونه دعوة أحد مع الله وكون الاستشفاع بغير الله الحق
 شركاً؛ لكونه فعل المشركين في زمن النبي ﷺ القائلين بأن هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله، وهنا في جواب هذه الشبهة أنكر جميع الدّعاوى
 السابقة، وأعترف بجواز الاستغاثه والاستشفاع في الدنيا
 والآخرة بالنسبة إلى الأحياء، فأحصى الإنكار فيما يفعله المستشفع
 عند قبورهم، وظهر من آخر كلامه أن دعوة الله تعالى عند قبورهم
 منكر فضلاً عن دعوتهم عندها، وحبس فيخلص للمقاتل
 دعويان:

إحداها: أن دعوة الله عند قبور الأنبياء والأولياء كفر وشرك،
 وثانيها: أن دعوتهم عند قبورهم كذلك شرك وكفر، ولنا أولاً
 السؤال عن دعوة الله التي إذا كانت عند غير قبورهم فلس بمكر؛
 لعدم كونها شركاً، وإذا كانت عند غير قبورهم تصير شركاً وكفراً
 هل هي إلا من فبيل الصلاة والاعتكاف والتكبير والنهليل
 والتنزيه والتفديس والمناجاة وطلب المغفرة والقرب والإخلاص
 في العمل أو حاجة دنيوية إلى غير ذلك.

وثانياً: المطالبه بدليل كون تلك الدّعوة شركاً وكفراً، فإننا

لا تتعقل مقصودهم من دعوة الله التي تكون شركاً وكفراً هل هي الأعمال العبادية، أو هي طلب الأمور المذكورة؛ فإن كان من قبيل الأول فالقرآن ناطق بجواز فعلها في غير المكان المغصوب في قوله تعالى: ﴿وَأَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(١) فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ عَلَى النَّاهِي عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَبِي مَكَانٍ نَكُونُ، وَكَذَا قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢) تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَاسْتِثْنَاءُ الْمَكَانِ الْمَغْصُوبِ لَا يَنْفِي جَوَازَ ذَلِكَ عِنْدَ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ، وَكَذَا مَا دَلَّ عَلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ، فَكَيْفَ يَنْصَوِّرُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَلِكَ شِرْكَاً وَكُفْراً.

وَأَمَّا الْمُنَاجَاةُ وَطَلَبُ حَاجَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ أُخْرَوِيَّةٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ قُبُورِهِمْ، فَمِنْ حَبِّ تَوْفِيقِ الطَّلَبِ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُ الْحَاجَةَ^(٣) بِصَدَقِ عَلَيْهِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَطَلَبُ الْحَاجَةِ بَعْدَ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ نَعَالَى قَهْرِيٍّ؛ لَعَلَّمَهُ وَالنَّفَاتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَنْجِي الْمَخْلُوقَ إِلَّا إِلَى خَالِفِهِ، وَلَا يَذْهَبُ الْعَبْدُ فِيمَا يَرِيدُ إِلَّا إِلَى مُوَلَاةٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ شِرْكَاً وَكُفْراً.

١ - سورة العلق: الآيةان: ٩ - ١٠.

٢ - سورة الأحرار: الآيةان: ٤١ - ٤٢.

٣ - هي: الحاجة منه.

وحينئذٍ فطالب القائل بدليل إنكار دعواه الله عند قبور الأنبياء والأولياء وجعلها شركاً وكفراً؛ فإن قال في الجواب: إن قصد الداعي لله مزية دعوة الله فيها على غيرها من الأمكنة كفر وشرك؛ طالبناه بدليل كون اعتقاد المزية وقصدها كفراً وشركاً مع أن الاعتقاد بعد حصول موجه أمر غير أخباري؛ ومع وجود موجه من الدليل العقلي والنقلي المعتمد كالكتاب والسنة كيف يمكن الإغماض عنه؟ وكيف بفرد أحد ممن له عقل سليم أن يمنع العمل بالعلم والاعتقاد القطعي؟ وكيف يمكن لأحد أن يمنع مشاهد الأسد مقبلاً عليه من الفرار منه، أو من يرى محبوبه متوجّهاً نحوه أن يمنعه من استقباله.

وبالجملة وجود موجبات الاعتقاد بالمزية عقلياً كان أو نقلياً يوجب وجوده قهراً، ولا ربط لهذا الاعتقاد بجعل الشريك له تعالى، بل إنه يؤكد الإخلاص والتوحيد من حيث الإقدام على العمل والزائد نفيه إلى الله لفضل محله على محل آخر، فكما أن الصلاة في المسجد لمزية له على سائر الأمكنة توجب تأكيد الإخلاص، فكذلك قبور الأنبياء والأولياء لدى من اعتقد لها مزيد فضل على سائر الأمكنة؛ وهو كذلك لقوله تعالى: ﴿فِي بَيْتٍ أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ﴾^(١) بالتقريب المسقّم

ذكره فلا نعيد.

وبالجملة الأدلة الدالة على شرافة قبورهم، وحسن التوسل بشرافتها كثيرة لسنا بصدد تعدادها؛ لوضوحها حتى عند الوهابية المتعتمدين للاغماض عنها، وكيف لا يكون كذلك وأكبر الخلفاء الراشدين الصديق وتاليه الفاروق استشرفا بشرافة جوار المرقد المطهر النبوي ﷺ، والإمام المجتهد المتحن الحسن بن علي رضي الله عنهما أراد التشرف بهذه الشرافة، فأوصى بما أوصى، ولكن منعه من ذلك ولولا وصيته لإخوته وأصحابه بالصبر لسفكت الدماء بالمنع عن دفنه عند جده لتحصيل تلك الشرافة، بل يجب أن يكون كذلك لحصول الشرافة بالاضافة، فكما أن بيت الله شريف، والمساجد كلها مشرفة بإضافتها إلى الله، وكذلك جلد القرآن وحواشي صفحاته الخالية من كتابة كلام الله محترمة يجب احترامها، فكذلك قبور الأنبياء والأولياء مشرفة بالاضافة إليه تعالى، فيقال قبر نبي الله، وقبر ولي الله، وقبور عباد الله الصالحين، وكما أن سقف المسجد إلى فرشته مستشرف بشرافة إضافته إلى المسجد الذي هو بيت الله فكذلك البنيان والقباب المبنية على قبورهم ﷺ مشرفة بالانتساب والاضافة إليهم ﷺ فالسلوك معها سلوك سائر الأماكن. بل أدون من ذلك بالفتوى بلزوم هتكها أو هدمها دون بيوت جبابرتهم ورؤسائهم لا يصدر إلا من جاهل

غيبٍ أو معاند غويٍّ .

والعجب من هذا القائل حيث قال : «وانكر السلف على من
فصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ﷺ» ولم يعين السلف
الذي أنكر دعاء الله عند قبر رسول الله ﷺ ؛ فإن أصحاب
رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين لم ينكروا ذلك ، بل كانوا هم
يعملون هذا العمل .

فإن قلت : كانوا يدعون الله في مسجد النبي ﷺ لا عند قبره .
قلت : لم يكن قبر النبي ﷺ ابتداء داخلًا في المسجد ، وإنما
حدث ذلك بعد مدة مديدة ، وأصحاب الرسول ﷺ كانوا
يتشرفون ويزورون قبر النبي ﷺ ، والحسن بن علي ﷺ استشف
مراراً عن السم الذي سقوه بالقبر المطهر ، والحسين بن علي ﷺ
بات عند القبر ليلة الوداع معه للمسافرة إلى مكة في السفر الأخير
الذي ارتحل منها إلى العراق فأصابتها الشهادة ، مضافاً إلى أن
التابعين وتابعي التابعين كانوا يعملون هذه المعاملة بعد صيرورة
القبر المطهر داخلًا في المسجد بقرب المرقد الشريف طلباً للفضل ،
واستمرت العادة على ذلك خلفاً عن سلف ، بل من لم يدرك هذا
الفضل توارد عليه الأسف بعد الأسف ^(١) .

١ - في الأصل : أسف ، والصحيح ما ذكرناه .

والحاصل: أنه لا ينكر دعوة الله تعالى عند قبر النبي ﷺ إلا بمجادل محجوج أو معاند مجنون لجوج، مضافاً إلى أن قوله ﷺ: «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١) إرشاد للمسلمين إلى دعوة الله تعالى في ذلك المكان الشريف.

هذا [تمام] (٢) الكلام في دعاء الله تعالى عند قبورهم ﷺ. وأما دعاؤهم عند قبورهم فلم يدل دليل على المنع منه أو ثبوت الكفر والشرك به لا من جهة أن ذلك دعوة غير الله تعالى، أو أنه دعوة مع الله أحداً ولا من جهة أنهم أموات لا يسمعون ولا يفهمون كلام من بدعوهم ويخاطبهم.

أما عدم كون دعوتهم دعوة لغير الله سواء كان للأمر الدنيوي أو الأخروي [ف] لأن من شهد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله، والعبد: «لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ»^(٣) لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كيف يمكن أن يطلب منه شيئاً لا يقدر عليه، بل إنه يطلب منه ما أعطاه مولاه ومملكه سيده! وهو التسفاعة، فالداعي عند قبره يدعو الله تعالى ﷻ بتوسط الشفيع ومصاحباً له، وبالإستشفاع يؤكد الطلب

١- فردع الكافي ٤: ٥٥٣

٢- هي «ع». كله.

٣- سورة النحل، الآية ٧٦

من الحقّ وهو تكبير للخضوع والتضرع، مضافاً إلى ما صَحَّ من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) برسول الله ﷺ وخلفائه، وأوصيائه عليهم السلام، فيكون ذلك دعوة لله تعالى، وإطاعة للقرآن، كما أن قوله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٢) الخ مفسر بأسمائهم الشريفة المكتوبة على ساق العرش، وأيضاً يدل عليهم السلام على ذلك ما هو المتعارف^(٣) المعهود بين الناس بل عليه جبلّة العقلاء من استشفاع المقصرين عند أولى الأمر عليهم بالمقرّبين عندهم، بل لا ينحصر ذلك في مورد العفو عن التقصير، وأنهم يعلمون ذلك في مقام طلب الخوانج منهم أيّاً ما كانت، وكما أن استغاثة المخلوق بالمخلوق في أمور بقدرت عندها^(٤) ليس دعوة لغير الله معه تعالى، فكذلك الاستشفاع بهم عند قبورهم عليهم السلام ليس دعوة لغير الله، ولا دعوة مع الله أحداً؛ لكونه طلباً من الله مصاحباً للشفيع.

وقد ظهر ممّا ذكرنا أن قول الفائل: «نحن أنكرنا الاستغاثة والعبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء

١- سورة الأعراف- الآية ١٨٠.

٢- سورة الفرقة- الآية ٣٧.

٣- في «ع» العرسوم.

٤- في الأصل: عليه، والصحيح ما أثبتنا.

التي لا يقدر عليها إلا الله الخ غير منطبق على الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والأولياء عند قبورهم؛ لأن الاستشفاع ليس بعبادة ولا يفعلون استغاثته تكون عبادة إلا عبادة الله بنحو الصوم والصلاة والمناجاة وطلب الخواتج الدنوية والأخروية التي قد حققنا أنها جائزة؛ لكونها صحيحة مطلوبة في كل زمان وكل مكان إلا في المكان المغصوب. وبعض الأزمنة الخاصة؛ واعتقاد زيادة فضل لها باعتبار وقوعها عند قبورهم ﷺ لا ضير فيه ولا فيج بغيره.

وعلى هذا فاللزام على القائل عدم إنكار الاستشفاع بهم ﷺ عند قبورهم، لأن الاستشفاع ليس بعبادة، وكون الشفاعة لله الحق لا يدل على كون الاستشفاع استغاثته عبادياً بل إنها أمر يقدر عليه العبد المتقرب إلى الله وليست من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، وهذا تمام الكلام في عدم كون دعائهم ﷺ عند قبورهم دعوة لغير الحق، أو دعوة مع الله أحداً.

وأما من حيث كونهم أمواتاً لا يسمعون ولا يفهمون فلأن عدم سماعهم وفهمهم لكلام من يتوسل بهم ويطلب شفاعتهم غير ثابت، بل القرآن ناطق بخلافه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فَرِحِينَ بما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

خَلْفَهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ﴿١١﴾ الآية .

ولا تنوهم أَنْ النَّبِيَّ ﷺ غير مقتول، أما أولاً فلأنه قد صحَّ عنهم ﷺ أنهم قالوا: «ما منا إلا من هو مقتول أو مسموم»^(١).

وثانياً فلأننا نقول بتعميم المقتول في سبيل الله؛ فإن الأنبياء وأوصياءهم ﷺ جاهدوا مع أنفسهم في سبيل الله؛ وهو الجهاد الأكبر الذي قال فيه رسول الله ﷺ لأصحابه حين رجعوا من غزوة ذات السلاسل: «رجعتم وفضيتم الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر قالوا له ﷺ وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ الجهاد مع النفس»^(٢) فهم بالمقاتلة مع النفس يحسبون مقتولين في سبيل الله وليسوا بأموات، بل هم: «أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله»^(٣) كيف لا يكون كذلك والنفس روحانية البقاء، والنفس القدسية باقية ببقاء الله، بل لا فناء لكل نفس وجدت وخلقت، ولولا ذلك لبطل الثواب والعقاب في عالم البرزخ وبعده، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: «خلقتم للبقاء لا للفناء» وهو الفرق بين الإنسان وغيره من الحيوانات والجهادات؛ فإنها

١- سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧٠.

٢- البحار ٢٧ / ٢١٦ / ١٨ و ١٩.

٣- البحار ٧٠ / ٣٧٣ / ١٨.

٤- سورة آل عمران: الآية ١٧٠.

بموتها تفنى دون الإنسان. وأن كل مجرد عاقل شاعر غير غافل فكيف بالأولياء والمقرّين فيأنهم يسمعون الكلام، ويردّون الجواب، ويفهمون، الخطابات، ويعلمون الحوائج؛ لعدم غفلتهم عن حوائج المحتاجين، وكيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) والخطاب عام ولا يختصّ بزمان الحياة ولا بغير قرب القبر المطهر.

والأخبار في إكثار الصلاة عليه ﷺ أكثر من أن تُحصى، ولا اختصاص لها بحال حياته، ومن الأخبار الدالة صريحاً على سماعه ﷺ للصلاة عليه بعد أرغماله وموته ما رواه في دلائل الخيرات من أنه سئل رسول الله ﷺ: «أرأيت صلاة المصلين عليك بمن غاب عنك ومن يأتي بعدك ما حالها عندك فقال ﷺ: «أسمع صلاة أهل محبتي، وأعرفهم، وتعرض عليّ صلاة غيرهم عرضاً» وأيضاً يدلّ على ذلك ما صرح عن المعصومين ﷺ في وظائف الداعي، حيث عدّ منها الصلاة على النبي ﷺ قبل طلب حاجانه من الله تعالى وبعده. ومعللاً بحصول الاستجابة للصلاة أولاً وآخرأ، فلا يردّ ما بينهما من طلب الحاجات؛ فيستجاب

١- سورة الأحراب: الآية ٥٦.

بإسجابتهما، وهذا بنفسه لكرم من الله تعالى للنبي ﷺ.

ويدل على ذلك عدد الشفيع والمشفع وصاحب الشفاعة من أسماء النبي ﷺ وأوصافه، فكما أن جميع أسمائه وأوصافه وألقابه وكناهه غير مختص بحال حياته، بل بعم بعد مماته أيضاً، وكذلك الشفيع وصاحب الشفاعة لا يختص بحال حياته أو في القيامة بعد حشره، كما أن الاستسفاع به ﷺ غير مختص بإبقاعه عند قبره الشريف، بل بعم المساجد والمعابد وأوقات الدعوات. وأيضاً انسحاب السلام في النشهد بعبارة: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» دليل على سماعه للسلام وفهمه للمعراج، فكيف لا يكون كذلك والسلام على أموات المؤمنين حال زيارته أهل القبور بالعبارات المختلفة. والكيفيات المتعددة، والطرق العديدة الواردة عن المعصومين ﷺ، ومنها السلام بهذه الكيفية: «السلام على أهل لا إله إلا الله» إلى آخره ومنها: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين» إلى آخره ومنها غير ذلك المكتوبة المدونة في محالها، ومن أرادها فليراجع مظانها - مما لا يقبل الإنكار، فكيف بمثله ﷺ.

والالتزام بكون زيارة أهل القبور والنسليات عليهم تعبداً صرفاً بدعوى عدم إدراكهم لذلك شطط من الكلام، وكدعوى ذلك في تلقيبه الشهادتين حال دفنه، وعدم إدراكنا لكيفية علمهم،

وخصوصيات إدراكهم، والتفاتهم للتسليمات المتوجهة إليهم من الأحياء لا بنافي واقع إدراكهم وسماعهم لكلام زائرهم تعبداً بقول من أمر بالسلام عليهم المطلق على أحوالهم، فإنه ﷺ قد أخبرنا في صحيح الخبر بالتفاتهم وإدراكهم، وهو أعلم بما قال وأخبر ﷺ، فتلخص من جميع ما ذكرنا من الأدلة أن الأنبياء والأولياء يسمعون ويفهمون بعد أرتحالهم ومماتهم ودفنهم في القبور، كما يسمعون ويفهمون كلام من يخاطبهم حال حياتهم.

وأما زيارة قبورهم والتوسل بهم عند مرافدهم فلمزية النظر والتوجه لهم إلى قبورهم لأجل التوجه إلى زائري قبورهم واللائذين إلى مرافدهم والعائذين عند خزانهم.

ولو أغمضنا عن جميع ما ذكرنا واعترفنا (والعياذ بالله) بأنهم لا يسمعون الكلام، ولا يفهمون الخطاب، وفرضناهم (نستجير بالله) كالخشب المصنوع صنماً لا يدرك شيئاً فحينئذ يكون التوسل بهم لغواً وعبثاً لا ينبغي أن يصدر من العقلاء والعلماء، وأين هذا من الشرك والكفر، وأن ذلك لا يعد شركاً ولا كفراً لا عرفاً ولا لغة.

فإن قال القائل: إنه صرح القرآن بكون ذلك شركاً بالنسبة إلى عبدة الأوثان، وهذا العمل مطابق لعمل المشركين في زمن النبي ﷺ حيث إنهم كانوا يستشفعون بالأصنام والأوثان الغير

المدركة لشيء، وكانوا يقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

قلت: قد سبق الجواب عن هذا المقال مراراً بأن إطلاق المشرِك الكافر عليهم لم يكن لمخاطبتهم تلك الأصنام بل إنما هو لأُمور آخر مر ذكرها من تسميتهم لها آلهة، ومن عبادتهم لها عبادة الله الحق في الكيفية، بل كانوا يستمّون ذلك عبادة لآلهتهم، ومن حيث عدم كون تلك الأصنام صاحب الشفاعة من عند الله تعالى ذلك من جهات الفرق التي سبقت في كلماتنا مراراً فالتباس مع بطلانه من أصله قياس مع الفارق، وليس بكاشف عن الحقائق.

ثم إن لنا سؤالاً إلزامياً من هذا القائل، وهو أن من سريد أن بناجي ربّه في مصلاً، فيقول: اللهم إني أتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة صلواتك عليه وآله، وأقدمهم بين يدي حوائجي، فأجعلني بهم عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة، وأفعل بي كذا وكذا هل بعد هذا الكلام شركاً وكفراً أو أنه جائز وليس بشرك ولا كفراً؟ فإن قال: هذا كفر وشرك فيقال له: كذبت ولثمت لا يرجع هذا الكلام إلى ما يكون كفراً وشركاً في اللغة ولا في المحاورات العرفية، وإن أعترف بأن هذا الكلام ليس بشرك ولا كفر، فنسأله إن فرضنا أنه نطق بهذا الكلام عند قبر النبي ﷺ أو أحد أوصيائه، كيف يكون شركاً وكفراً؟ فإن قال: ذكره عند قبورهم أيضاً لبس بشرك ولا كفر وحينئذ نقول: فإن قال بدل ذلك: يا وجيهاً عند الله اشفع لي

عند الله أن يفعل بي كذا وكذا، هل يصير شركاً وكفراً؟ فإن
أعترف بأنه أيضاً ليس بشرك ولا كفر ثبت مطلوبنا، وبطل ما
أدعاه، وإن أنكر فنسأله عن دليل ذلك ونطالبه بالفرق بين هذه
العبارة والعبارة الأولى التي معناها الاستشفاع أيضاً؛ إذ معنى
التوجه إلى الله بالنبي ﷺ وتقديمه ﷺ بين يدي حوائجه جعله
شقيقاً عنده ولا يعقل أن يكون الفرق من جهة المكان إلا أن يقول:
إن الفرق من حيث المخاطبة للميت ولا شك أن المتقدم للشفاعة
قدر على الشفاعة، ويفهم كلام من استشفع به عند الله وإن كان
ميتاً ظاهراً وإلا لم يكن يقدم لذلك أو يقول إنه دعوة لغير الحق،
وقد أجبنا عن ذلك مراراً قلاً نعيده، ومن لم يهده الله فلا نفيده.

ثم قال القائل: «ولهم شبهة أخرى؛ وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما
ألقي في النار أعترض له جبرئيل عليه السلام في الهواء فقال: ألك
حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: «أما إليك فلا» قالوا: فلو كانت
الاستغاثة بجبرئيل شركاً لم يعرضها على إبراهيم عليه السلام فالجواب
أن هذا من جنس الشبهة الأولى؛ فإن جبرئيل عرض عليه أن
ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شديدُ
القوى﴾^(١) فلو أذن الله تعالى له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها

١ - سورة النجم - الآية ٥.

من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا مئة فيه ، فأين هذا باستغاثه^(١) العبادة والشرك لو كانوا يفقهون» انتهى .

وخلاصة مراده أن القدرة على الفعل الذي يريده الطالب من^(٢) المطلوب منه شرط في جواز الاستغاثه به . وكان جبرئيل عليه السلام قادراً على جمع ما كان محتاج إبراهيم عليه السلام . وأما الأنبياء والأولياء المقبورون^(٣) فلا يفقدون على شيء ؟ فلا يجوز الطلب منهم .



والجواب عن هذا الكلام يعلم مما ذكرنا آنفاً من أن الاستغاثه بالعبادة لا معنى له ، فإنه ليس أحد ممن يستشفع بالأنبياء والأولياء عليهم السلام عابداً لهم عند دعوتهم . والاستغاثه والاستشفاع بهم ، بل هذه العبارة غلط لا تفيد^(٤) أصلاً ، لأن الاستغاثه شيء

١ - كذا ، والصحيح : من أسعاته

٢ - في الأصل : عن ، والصحيح ما أنشأه .

٣ - في الأصل : المقبورين والصحيح ما أنشأه .

٤ - في الأصل : عيد ، والصحيح ما أنشأه .

يحصل بالفاظه خاصة دون العبادة؛ فإنها خضوع وخشوع مخصوص يحصل بأفعال مخصوصة لا باللفظ وإنها تضمنت أيضاً ألفاظاً مخصوصة لكن لا ربط لها بالاستغاثه، ومن أن الأنبياء والأولياء بعد موتهم «أحياء عند ربهم يرزقون»^(١) فيسمعون الكلام، ويفهمون، الخطاب ويردون الجواب، وعدم سماع جوابهم بالأذان الظاهرية لا ينافي علمنا بالجواب منهم، إيماناً بإعطائهم ما نسأل الله بتوسطهم من الحاجات من رزق، أو ولد، أو شفاء مرض أو غير ذلك، أو بردهم إيماناً بإسماع الكلام لنا في الخلسة أو في النعاس، أو في النوم، فيفهمونا عدم كون تلك الحاجة صلاحاً لنا، أو بعدم الاعتناء بنا فيما شفّعناهم عند الله، ونفهم ذلك، بل إنهم يفهمونا ذلك بقضاء بعض حوائج المحتاجين دون بعض، فتعلم أنه لم يكن صلاحاً بالنسبة إلينا كما نشاهد ذلك في دعوة الله تعالى مع قوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم»^(٢) الآية من إجابة بعض الحوائج دون بعض، فتعلم صلاح ما أجبنا فيه من الدعوات، وعدم المصلحة في بعضها الآخر الذي ما استجاب^(٣)، وقد حققنا في بعض مصنفاتنا معنى قوله تعالى: «وإذا

١- سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

٢- سورة عامر: الآية ٦٠.

٣- في الأصل: استجابه، والصحيح ما أشتا،

سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع^(١) الآية لا يناسب ذكره هنا.

الحاصل أن الاعتقاد بأنهم (أحياء عند ربهم يرزقون) يلزمه الاعتقاد بأنهم يسمعون الخطاب ويردون الجواب ولو أغمضنا عن ذلك وقلنا بعدم سماعهم الكلام، فلا محذور في دعوتهم إلا العبث واللغو لا الكفر والشرك، وقياس ذلك بعبادة الأصنام الغير المدركين لشيء قياس مع الفارق ببناء مراراً.

هذا كله مع أن الجواب المذكور لا يرد الشبهة المذكورة الراجعة إلى الاعتراض على إطلاق كلام الفائل حيث إنه كان يجعل مطلق الاستغاثه بالمخلوق شركاً وكفراً والعدول عن الإطلاق إلى التقييد بالمخلوق الغير القادر، وإلى الاستغاثه بالعبادة التي ما حصلنا لها معنى محصلاً لا يرفع الاعتراض على إطلاق الكلام.

فحصل من عدوله رفع اليد من إطلاق كلامه ولم يسبق له إلا صورة التقييد وقد أوضحنا بطلانها وفساد برهانها، والحمد لله على ما هدانا وله الشكر على ما أولانا.

إيقاظ عرفاني وإلهام رباني

وهو أنه يفهم ويعلم من قصة إبراهيم عليه السلام صدراً وذبلاً أمور

١ - سورة الفرقان الآية ١٨٦

نوضحها بعد ذكر تمام القصّة؛ فإنه ﷺ بعد سؤال جبرائيل ﷺ له ^(١): «ألك حاجة قال: «أما لك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالي يكفي عن سؤالي» ^(٢).

منها أن جبرئيل ﷺ أراد بيان أن الاستغاثة وطلب الحاجة من المقربين إلى الله تعالى جائزة، وليست من الدّعوة لغير الله تعالى في شيء.

ومنها امتحان إبراهيم ﷺ في صبره على البلاء في مقام نصرة دين الله.

ومنها الاطلاع على ما عنده من العلم والمعرفة بالله تعالى، ومعرفة فضله على الأنبياء قبله.

ومنها إعلام الناس بمقامه ﷺ من الجواب الذي كان يجيبه. ومنها ما أفاده ﷺ بجوابه: «أما إليك فلا» من دفع توهم جبرئيل ﷺ أنه معرض للحاجة وأنه ﷺ مظهر له إياها على تقدير وجودها.

ومنها ما أفاده ﷺ أيضاً «وأما إلى الله» المحذوف جوابه يعني فنعم، من أن كلّ الحاجات إليه؛ لأنّه لا يقدر على قضائها غيره تعالى، ولا يملك الأمور سواه.

١- في الأصل عنه؛ والصحيح ما أئتمناه.

٢- الحار ٧١- ١٥٥ / ٧٠ وأما في الصدوق ص ٤٥٦ وعلى الفرائض ص ٣٥.

ومنها ما أفاده عليه السلام أيضاً بقوله «علمه بحالي حسبي عن سؤالي» بعد كونه جواباً لسؤال مقدر من جبرئيل عليه السلام وهو أنه بعد قول إبراهيم عليه السلام: «أنا إلى الله فنعم» كان في نفسه وعزمه السؤال عن وجه عدم إظهارها لله تعالى، فقال عليه السلام قبل إظهاره ذلك ما قال من أن علمه بحالي حسبي عن سؤالي.

ومنها الإشارة بالجواب المذكور إلى أن العارفين بالله المخلصين له والمشتاقين إليه لا يسألون الله دفع شيء مما بهم من الآلام والأذى، لعلمهم بأن الله فعل بهم وفي حقهم ما بصلحهم ويحتاجون إليه من غير سؤال لفظي وإلحاح لفظي، وأنه تعالى يدفع عنهم ما يضرهم وما لا ينفعهم؛ لعدم الحاجة إليه، وإنما سأل الله تعالى الحوائج المنظورة لهم والمسحوسة عندهم بعقولهم المنسوبة بالأوهام أرباب العقول الناقصة، وقد تقدم أن معنى: «أدعوني استجب لكم»^(١) وقوله تعالى: «أجيب دعوة الداع إذا دعان»^(٢) حفظناه في بعض مصنفاتنا وتلك الإشارة كانت لأجل تنبيه جبرئيل عليه السلام إلى أن سؤاله عن وجه ترك طلب الحاجة من الله تعالى في سويدها قلبه لا وجه له، وفي غير محله، وكأنه قال: يا جبرئيل لا بشيئ مني طلب شيء من الله تعالى لأنه يفعل بي

١- سورة غافر: الآية ٦٠.

٢- سورة البقرة: الآية ١٨٦.

وفي حَقِّي ما هو الأصلح لي من غير طلب وسؤال مني . والله العالم
بحقيقة معاني مقالته ، كما أنَّه تعالى هو العالم بحقيقة حاله ، ونسأل الله
تعالى أن يصلي على محمد وآله وعليه صلوات الله عليهم أجمعين .

[خاتمة في معنى الإسلام]

ثم قال القائل : «ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما
تقدّم ، لكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها
فنقول : لا خلاف في أنَّ التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان
والعمل ، فإن آختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً» انتهى
محل الحاجة .

أقول وكأنَّ القائل بهذا الكلام لم يطّلع على الخلاف العظيم بين
العلماء في اعتبار الأمور الثلاثة في الإسلام أو الاعتقاد بالقلب
والاقرار باللسان أو هو الاعتقاد بالقلب؟ حتّى أنَّ بعضهم عبّر عن
اعتبار الأمور الثلاثة بقوله : هو الاعتقاد بالجنان والاقرار
باللسان والعمل بالأركان ، وبعضهم - وهم الأكثر - قالوا بأنَّ
العمل بالأركان للفرار عن الفسق لا لحصول الإسلام ، والاقرار
باللسان كاشف عما هو حقيقة الإسلام الذي هو الاعتقاد بالجنان .
والحق أنَّ الإسلام عبارة عن الاعتقاد بالجنان بشرط عدم
المحمود باللسان . فن أقر باللسان وكان جاحداً بالجنان فهو

خارج عن الإسلام؛ لكون المجهود في الباطن مخرجاً له عن كونه من أهل التسليم الحقيقي، وإن كان نفي الإسلام عنه في الظاهر محرماً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١).
والحاصل أن القول بعدم الخلاف في اعتبار الأمور الثلاثة في الإسلام كاسف عن عدم الاطلاع على الأمور أو التقصير في العثور، [و] كيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) حيث نسب الهداية إليه بالقلب مؤكداً بكون الله عالماً بكل الخفيات التي منها ما هو ثابت في القلب.

هذا مضافاً إلى دلالة لفظ الإسلام المأخوذ من التسليم في ذلك؛ فإن التسليم يحدث أولاً في القلب، ثم يتبعه الجوارح، واللسان يتبعه بالإظهار وسائر الجوارح بالعمل؛ وهذا واضح عند المنصف لا عند المعاند المعتسف.

قل لمن يرشد أعلام الهدى أنت لا تعرف حقاً مسلماً
كيف ترجو أن تكون مهتدي^(٣) أنت كفرت بجهل مسلماً

١- سورة النساء: الآية ٩٤.

٢- سورة العنكبوت: الآية ١١ وفي الأصل وهو بدلاً من: والله والصحيح ما ذكرناه.

٣- كذا.

ثم قال: «فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما. وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق، نفهم هذا أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار ولم يدر المسلمين^(١) أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال الله تعالى: ﴿استمروا بآيات الله نعتاً قليلاً﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات كقوله تعالى: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾^(٣) انتهى محل الحاجة.

أقول: قد نبين مما قدمنا أن الإسلام هو الاعتقاد القلبي الحقيقي بشرط عدم الجحود الظاهري؛ لأن الجحود يناقض التسليم، والتسليم بلا جحود ظاهري^(٤) لا ينافض فعل ما لا ينافي التسليم؛ فإن ترك الصلاة معذراً بأنه صعب على فعله مع التسليم بوجوبه به، وكون تركها موجباً للفسق والمخالفة للشرعة غير مناف

١- كذا في الأصل. والصواب: المسلمون.

٢- سورة التوبة الآية ٩.

٣- سورة ص الآية ٧٦.

٤- هي الأصل الظاهري، والصواب ما أتينا.

للإسلام؛ إذ فيول وجوبه والالتزام بكون تركه موجِباً للفسق ومخالفة للشرع بنفسه تسليم للحقّ، و مطلق العصيان لا يوجب الكفر، وإطلاقه على ترك بعض الواجبات الفرعية كالزكاة والمحجّ مبالغة في لزوم الاهتمام به وإطلاق مجازي للفظ الكفر بقرينة مفاوته أو مقامية، وكفر فرعون وإليس مع الاعتقاد القلبي بالتوحيد لا الجحود الظاهري، أمّا جحود فرعون فظاهر، وأمّا جحود إليس فلإنكاره علم الحقّ بكونه خيراً من آدم، أو كون آدم خيراً منه حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١) فأثبت صفة النقص لله تعالى وهو مناف للتوحيد، واعتقاد كلياً بنافي التوحيد جحود للحقّ.

والحاصل أن كفر إليس أيضاً ليس لأجل ترك السجدة، بل لأجل جحود الحقّ وإثبات الجهل لله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم إن الاعتذار عن ترك العمل بالأعذار التي أسار إليها في كليته، كيف يمكن أن يكون اعتذاراً مجوزاً لترك العمل إلا أن يريدوا من تلك المعاذير إثبات الإكراه والاضطرار إلى ترك العمل مع أنّ مطلق الترك ليس موجِباً للكفر، بل ربّما يكون مؤكداً

١- سورة الاحزاب، الآية ٦٢.

للتوحيد، كما يدل عليه ما ورد في الدعاء: «إلهي لم أعصك»^(١) حين عصيتك وأنا برؤيتك جاحد ولا بأمرك»^(٢) مستخف، ولا^(٣) لوعيدك متهاون، لكن خطيئة^(٤) عرضت^(٥)، وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي^(٦)، وأعانتني عليها^(٧) شقوتي، فقرّني سترك المرّخي^(٨) عليّ^(٩) إلى غير ذلك مما ورد في هذا المعنى. إذا عرفت ما ذكرنا ظهر لك أن قياس من ترك العمل بالفروع معتذراً ببعض المعاذير الغير المنافية للإسلام بالمعاذير المعتذر بها أنعم الكفر قياس مع الفارق وتفرع غير لائق.

ثم إن استدلال هذا القائل على: «أعتذار أنعم الكفر بالمعاذير بقوله تعالى: ﴿اشْتَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾»^(١٠) وإن كان قابلاً

سورة التوبة

- ١- هي الأصل: لم أعصك والصحيح ما ذكرناه.
- ٢- هي الأصل: أمرك والصحيح ما ذكرناه.
- ٣- هي الأصل: ولو لوعيدك، والصحيح ما أنشأه.
- ٤- هي الأصل: ولكن ثلثة والصحيح ما ذكرناه.
- ٥- هي الأصل: عرضت لي، والصحيح ما ذكرناه.
- ٦- ساقط من الأصل، والصحيح ما ذكرناه.
- ٧- هي الأصل: وأعانتني، والصحيح ما ذكرناه.
- ٨- هي الأصل: فقرّني - الرخي، والصحيح ما ذكرناه.
- ٩- راجع دعاء أبو حمزة الثمالي في مفاتيح الجنان.
- ١٠- سورة التوبة الآية ١٤٦.

للمناقشة، لكن لا يخلو عن مناصبه.

أما استدلاله واستشهاده بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١) فلم يفهم وجهه، بل لا يصح. فإن الآية في مقام بيان حال منكري^(٢) رسالة خاتم النبيين ﷺ بإنكار العلامات التي عيّن بها الأنبياء المبشرين بظهوره وقدومه.

فإن قلت استشهاده بهذه الآية بملاحظة أنهم معذورون لعدم إيمانهم بعدم نبوت العلام عندهم، فيعذرون لعدم الإيمان بعدم أنطباق العلام فالاستشهاد في محله.

قلت. ظاهر كلام القائل أن السالك للعمل على طبق الاعتقاد السليبي اللازم في حصول الإسلام معذورون باعذارهم كما معذورون أنهم الكفر باعذارهم، والمساسبات لذلك أن يكون أعذارهم عن ترك العمل بالجوارح لا الاعتذار عن ترك الإيمان بنفس ما اعتقدوه حقاً لصدق العلام. وكيف كان [ف] هذه المقالات غير دالة على اعتبار العمل بالأركان في حقيقة الإسلام؛ بحسب لو فرضنا ترك العمل به يكون خروجاً عن الإسلام. وإن سلمنا أن ترك العمل كان موجباً للكفر؛ فارتباط هذا المطلب

١- سورة الفرقان الآية ١٤٦.

٢- في الأصل: مكريين. والصحيح ما أثبتناه.

يكون المستشفعين بالأنبياء والأولياء، وأحترام قبورهم مشركين وداعين^(١) لله لغيره ومشاركين في عبادة الله أحداً غير معلوم، بل المعلوم عنده.

وكأن القائل لهذا الكلام عدل عن تلك المسألة ويريد بهذه المقالات إثبات كفر المسلمين من حيث ترك الأعمال، وبعبارة أخرى: يريد بهذا البيان تكفير تمام المسلمين بالعصيان وترك الأعمال الواجبة وكونهم موحدّين ومسلمين لعدم استشفاعهم بالأنبياء والأولياء، وكونهم عاملين بما أوجب الله على المسلمين من غير أن يصدر منهم ترك واجب أصلاً.

وأنت خير بأن ذلك إعجاب بالنفس، وتزهيد أكيد، وهو مما لم يجترئ عليه الأنبياء كما يدل عليه قوله تعالى - حكاية عن يوسف عليه السلام -: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَفَّارَةٌ^(٢)﴾ بالسوء إلا ما رَحِمَ ربي^(٣) ولا شكلم به إلا المخنث الفخور، ومن يكون مثل إبليس جسور، فليبق أن يقال في حقه:

أيها المغرور استغفر الله تعالى من قول الزور:

١- في الأصل: مشركون وداعون... ومشاركون. والصحيح ما أُنشأ،

٢- في الأصل: أَمَّارَةٌ، والصحيح ما أُنشأ.

٣- سورة يوسف، الآية ٥٢.

إلى مَ تحبّ السالكين سبيلاً
 حميداً عزيزاً في الأنام ذليلاً^(١)
 ألفت بتمويه دلائل باطله
 ولا تحسبن ما في العقول ذليلاً

[في وجوب الاعتقاد القلبي بالإسلام]
 ثم قال القائل: «فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلب فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾»^(٢)
 وهذه المسألة مسألة طويلة يتبين لك إذا تأملت فيها السنة الناس نرى من يعرف الحق وبترك العمل لخوف نقص دنيا أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً. انتهى محل الحاجة.

أقول حاصل مقالته أن من لم يعتقد الإسلام بقلبه، لكنه في الظاهر يعمل به فهو شر من الكافر. ومن أعنفد به في قلبه لكنه ترك العمل به لأمر دنيوي أو لمداواة الناس وكأنه يريد بذلك انقسام الناس بين قسمين: كافر؛ وهو يعتقد ولا يعمل به لعذر أو مداراة أو نقص مال أو غيره، ومنافق؛ وهو الذي يعمل

١- كذا.

٢- سورة النساء: الآية ١٤٥.

ظاهراً لا باطناً، ويقصد إنبات كون الوهابية بين كافر ومنافق، ولكنك قد عرفت أن الحصر غير حاصر، والمعجب بالنفس قاصر ومكابر.

ثم قال القائل: «ولكن عليك بفهم آيتين في كتاب الله؛ وهما ما تقدّم من قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح، تبين أن من يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاء أو مدارة أحد - أعظم ممن نكلم بكلمة يخرج بها - انتهى محل الحاجة.

وخلاصة مقاله: أن الاعتذار عن الكفر بعد الإيمان غير مفيد، ولا يصلح لرفع الكفر. والدليل عليه أن كلمة الخراج إذا أوجبت الكفر على ما عرفت سابقاً فكلمة الكفر بطريق أولى، وإذا تحقّق أن الاعتذار لا ينفع في رفع الكفر، فتحقّق كفر غير الوهابية الذين يقولون ما هو في الواقع كلمه الكفر واعتذارهم بما يعتذرون ليس رافعاً لكفرهم.

هذا خلاصة مفصوده، ونهاية ما كمن في وجوههم وضمرة طبع حسودهم^(٢).

١ - سورة التوبة الآية ٦٦، وفي الأصل أفقد.

٢ - كذا.

وأنت بعد التأمل فما ذكرنا سابقاً وأنساً تعلم أن كل هذه
 المطالات وجولان الخيالات موجبات إغفال الجهال، وتمويهات
 على صغفاء العفول والأطفال. [و] كيف لا يكون كذلك مع أن
 حصول الكفر ببعض الكلمات المشعة بإنكار ما يجب في الاسلام
 الاعتقاد من المسلمات. وكذلك المزج المتضمن للاستهزاء بالله
 ورسوله من المكفرات، لكن الشأن في تطبيق ذلك على
 المستشفعين بالأنبياء والأولياء وقبورهم عند حلول ما يحوجهم
 إلى الالتجاء والمسألة عن الله في قضاء حوائجهم ورفعهم عنهم
 البليات، وذلك أصعب على من أدعاه من خرط القتاد، والصعود
 على السماوات. فينبغي أن يقال له:

يا ممالك مسلك ذي الحقوق

دع عنك هذا المسلك المردود

نزعهم بأن هذه الخرافات

ترفعك المنازل المسعود

هيهات أن تنفعك الخرافات

سوى البعاد عن رضئ المعبود

نعم أراك في جوى مضيق

تحرق بنار محرق...^(١)

١- كذا الأبيات. والكلمة الأخيرة غير واضحة في الأصل.

ثم قال القائل: «والآية الثابتة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِلَّاهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ لَا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مِنْ شَرْحِ اللَّهِ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) إلى قوله: ﴿الْكَافِرِينَ﴾ فلم يعذر الله من أولئك إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، وأما غيره فقد كفر بعد إيمانه؛ سواء فعله خوفاً، أو مداراة، أو محنة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فوله على وجه المزاح أو غير ذلك من الأغراض إلا المكره» انتهى.

أقول: تنمة الآية التي لم يذكرها وذكر آخرها هي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) وخلاصة مراده في هذه الجملة من كلامه: أن الإكراه على ترك الأعمال مع أطمينان القلب والبال بالإيمان غير مضر بالإيمان، وما سوى ذلك مضر للإيمان، ومدخل للإنسان في الكفر بعد الإيمان، ونتيجة ذلك أن غير الوهابية كلهم غير مكرهين على ترك الأعمال، ومستحبّي الحياة الدنيا على الآخرة، فهم كفار أعد الله لهم ما أعدّه، واستدلّ عليه بالآيتين.

نوضح ذلك أن الكلام من أول افتناحه كان مستعلقاً بكون

١ - سورة البحل - الآية ١٠٦.

٢ - سورة البحل - الآية ١٠٧.

الاستشفاع بالأنبياء والأولياء وقبورهم دعوة لغير الله ، فيكون شركاً وكفراً ، ومن المعلوم أن هذا الكلام لا ربط له بمسألة اعتبار العمل في الاسلام ، والاستدلال يكون ترك الأعمال بغير الإكراه كفراً لا ربط له بتلك المسألة ، والاستدلال لذلك بالآيتين أيضاً لا يفيد مطلوبه ؛ لأن مجرد إطلاق الكفر على من ترك واجباً أو فعل محرماً لبس مفاده هو الشرك المنافي للتوحيد ونحقيق الإسلام ، وإطلاق الكفر على الفسق ليس أمراً منكراً ، واستحقاق العذاب كما يكون بالكفر يكون بالفسق والعصيان .

والحاصل : خلط مسألة كون الاستشفاع بالأنبياء والأولياء وقبورهم والاتجاه لهم - شركاً ودعوة لغير الله بترك الأعمال اللازم من فعله في الإسلام من الجهل أو الجاهل أو الإغفال للجهال...^(١) والتناول ، هذا مع أن الآية وإن دلت على أنحصار عدم الضرر بالإيمان بترك العمل بالإكراه ، لكن يرفع الانحصار ما هو المشهور من قول النبي ﷺ «رفع عن أمتي تسعة : الخطأ ، والنسيان ، وما لا يعلمون ، وما استكروهوا عليه ، وما أضطروا إليه...»^(٢) وتفصيل هذه الأمور في محله ، والمقصود هنا التنبيه على عدم الانحصار ، والإشارة إلى بطلان ما يقول به القائل من الافتصار .

١ - غير واضح في الأصل .

٢ - الخصال ص ٤١٧ والتوحيد ص ٢٥٢ .

بِأَمَّنْ أَرَىٰ نَصِيكَ الْمَقْدَرَا
 لَيْسَ سِوَىٰ بَيَانِكَ الْمَكْرَرَا
 لَا تَزْعَمَنَّ بِتَفْعَلِ التَّكْرَارِ
 مِنْ صَحَّةِ الْقَوْلِ فَكُنْ مَضْفَرَا
 بِصَحَّةِ الْقَوْلِ وَرَأَىٰ جَبَدَ
 تَمْلِكُ مِنْ حِظِّ الْأُمُورِ الْأَوْفَرَا

ثم قال الفائل: «والآية تدلُّ على هذا من وجهين:
 الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ﴾ فلم يستثنِ إِلَّا المكره، ومعلوم
 أَنَّ الإنسان لا يكره إِلَّا عَلَى الكلام والفعل، وأما عقبة القلب
 فلا يكره عليها أحد.

الثانية: قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ﴾ فصرَّحَ بِأَنَّ الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد
 والجهل والبغض للدين، ومحبة الكفر...^(١) أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حِظًّا
 مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَأَثَرُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

أقول: خلاصة كلامه تقرب استدلاله عَلَى مطلبه بالآية
 الثانية من حيث حصر الشيء الَّذِي لَا يَضُرُّ بِالْإِيمَانِ الْإِكْرَاهُ عَلَى

١- غير واضح في الأصل.

فعل أو كلام يخالف أمر الدين ، فترك ما يجب على المسلم إن لم يكن بالإكراه موجب للكفر ، ومن حيث إن السبب في ذلك محبة الدنيا ، واختيارها ونرجيحها على الآخرة .

وأنت إذا تأملت فيما ذكرنا آنفاً نعرف أن فيها تكرار الكلام السابق وإظهار لأمر ظاهر عند أولي الألباب والخواطر ، لكنه خلط للمبحث من حيث إن الكلام المنعقد له الاستدلال في أول الأمر كان في إثبات كون الاستشفاع بقبور الأنبياء والدعوة عندها كفراً وشركاً ، وهذه الكلمات لا مساس لها بذلك المطلب ، فإن أجابه بأن ذلك الكلام كان لإثبات الكفر هؤلاء الجماعة من جهة الاستشفاع ، وهذا الكلام لإثبات الكفر لهم بترك العمل بغير الإكراه نقول في جوابه :

إن هذا الكلام يناقض سمعة هؤلاء الجماعة مشركي زمانهم ؛ فإن الكفر الذي يحصل بترك العمل لا يوجب الشرك الذي كان يوجب الاستشفاع ؛ لعدم كون ذلك دعوة لغير الحق ، وقد عرفت أن إطلاق الكفر على ترك ما يجب من الفروع مجاز ومتساهل ، مضافاً إلى أن إثبات الكفر والشرك للمستشفعين بالأنبياء والأولياء وقبورهم بالأدلة المثبتة لها عليهم مغل عن إثبات الكفر بترك الفروع بغير إكراه ، فلم يكن له حاجة إلى تطويل الكلام بأزيد ما ليس إليه حاجة في المقام ، والاستدلال بدليل أضعف مما

أقامه أولاً في العوام والاستحكام وهو خارج عن مسلك أهل
السداد حتى العوام.

ويل لمن جعل الإضلال إسلاماً

والإنهماك بفنل النفس إلزاماً

(١)

بل من يخالف كلامه الأعداء

الخاتمة

ولنختم الكلام ببيان نتيجة مقالات هذا^(٢) المضلّ الأضل
من الأنعام، فإن مراده من هذه التوجيهات والمفتريات والإغفال
والفسسطة في المقال لإضلال الجاهل تحريضهم على طلب الدنيا
بعنوان الإسلام والديانة، وتسجيعهم على هتك المشاهد المشرفة
والمعظّمات بالنهب والغصب، والخسايعة باسم
الإسلامية والديانة، وحيازة الثروة والرياسة. بل السلطة
الجائرة المستقلة بعنوان...^(٣) الإسلام والدين بالإعانة، وغير

١ - غير واضح في الأصل. والابيات من أول الكتاب - كما ذكرنا - أكثرها غير متسقة
الوزن. وقد أصلحنا ما يمكن إصلاحه منها مما هو مخالف لقواعد العروض وأشرنا إلى
أصله. وما لم يمكن إصلاحه فقد أنفينا عن حاله.

٢ - في الأصل هذه. والصحيح ما أنشأ.

٣ - غير واضح في الأصل.

خَفِيَ عَلَى قَاطِبَةِ الْمُسْلِمِينَ بِاخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ أَنَّ
 الْإِقْدَامَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْفَضِيعِ إِهَانَةٌ وَمِهَانَةٌ وَخُرُوجٌ عَنِ
 الْإِسْلَامِ بِإِنْكَارِ الضَّرُورِيِّ لِمَا هُوَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْدِينِ كَالْأُسْطُوَانَةِ
 وَافْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَإِخْلَالٍ بِنِظَامٍ فَاعِلِيهِ كَافَّةُ الْبَشَرِ مِنْ
 تَعْظِيمِ مُشَاهِدِهِمْ وَمَعْظَمَاتِهِمْ بِالْإِهَانَةِ، فَهَمَّ - بِارْتِدَادِهِمْ لِإِنْكَارِ
 ضُرُورِيِّ الدِّينِ - كُفَّارٌ مُهْدُورٌ^(١) الدَّمِّ وَمِهْتَوَكُو الْاحْتِرَامِ،
 وَبِإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَاجِبُو الْقَتْلِ وَالْإِعْدَامِ، وَهَذَا حُكْمُهُمْ
 فِي شَرَعِ الْإِسْلَامِ وَحُكْمِ الْعُقَلَاءِ بِدَفْعِ^(٢) الْفُسَادِ لِبَقَاءِ النَّظَامِ،
 وَدَفْعِ هَذِهِ الْكُرْبِيَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُسْتَضْمِنَةِ لِلْعَوَاقِبِ الْوُخْبِيَةِ لِأَزْمٍ
 عَلَى قَاطِبَةِ الْأَنَامِ وَعَلَى مَنْ أَنْبَعَ الْهَدْيُ السَّلَامُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا
 وَآخِرًا.

وَقَدْ فَرَعْتُ مِنْ نَسْوِيدِ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ فِي الثَّنَائِيِّ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
 ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ١٣٤٣ هـ.

١ - هِيَ الْأَسْلُ، مُهْدُورٌ وَمِهْتَوَكٌ وَوَاحِدٌ، وَالصَّحِيحُ مَا أَتَيْنَاهُ.

٢ - هِيَ الْأَسْلُ الرَّعِيعُ وَالْأَنْسَبُ مَا أَتَيْنَاهُ.

خاتمة التحقيق

نسأل الله تعالى أن يتقبَّل أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم
ويعزَّزْ عِلَّتَنَا بِدَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ يُعَزِّزُهَا الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ. وَيُذِلَّ بِهَا النِّفَاقَ
وَأَهْلَهُ، وَآخِرَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

تم الفسراخ من تصحيحه وتحقيقه يوم الخميس
٢٠/شعبان/١٤١٩هـ

نعمان النصري



مصادر التحقيق

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أغاني الأغاني، ط ٣، سنة ١٩٩٣.
- ٣ - الأمل للشيخ الصدوق.
- ٤ - بحار الأنوار للعلامة المجلسي.
- ٥ - التوحيد للشيخ الصدوق.
- ٦ - الخصال للشيخ الصدوق.
- ٧ - الدر المنثور للسيوطي.
- ٨ - سيرة ابن هشام.
- ٩ - الصراط المستقيم.
- ١٠ - الكافي للشيخ الكليني.
- ١١ - علل الشرائع.
- ١٢ - كشف الغمّة.
- ١٣ - كنز العمال للمنتقى الهندي.
- ١٤ - مجمع البيان للشيخ الطبرسي، ط دار المعرفة، بيروت.
- ١٥ - مسند أحمد.
- ١٦ - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

فهرست الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
اجعل لنا إلهاً كما...	الاعراف	١٣٨	٥٢.٥٠ - ١٢٤.٥٣
ادعوني استجب لكم	غافر	٦٠	١٥٥
ارأيت الذي ينهى عبداً...	العلق	٩ - ١٠	١٤١
اشكروا بآيات الله ثمناً قليلاً...	التوبة	٩	١٦١ - ١٦٣
الذين آمنوا والذين هادوا...	البقرة	٦٢	٦٣
الذين ينفقون أموالهم بالليل...	البقرة	٢٧٤	٦٤
الذين ينفقون أموالهم في سبيل...	البقرة	٢٦٢	٦٤ - ٦٣
الراكون الساجدون الأمرون...	التوبة	١١٢	٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
المساجد لله فلا تدعوا مع...	الجن	١٨	٨٥
إن الذين يكفرون بالله...	النساء	١٥٠ - ١٥١	١١١
إن الله لا يغفر أن يشرك به ..	النساء	١١٦	٥٠
إن الله وملائكته يصلون على النبي...	الاحزاب	٥٦	٨٦، ٨٧ - ١٤٩
إن المنافقين في الدرك...	النساء	١٤٥	١٦٦
إنكم قوم تجهلون إن...	الأعراف	١٣٨ - ١٣٩	١٢٥ - ١٢٦
إنكم وما تعدون من دون...	الانبياء	٩٨	١٠٠ - ١٠١
إن كسب الشيطان كان ضعيفاً	النساء	٧٦	٥٤
أما جزاء الذين يجارون الله	المائدة	٣٣	١١٧
إننا لنفي شك مما ندعوا...	هود	٦٢	٤٨
أإله مع الله تعالى الله ..	النمل	٦٣	٦٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
أبالله وآياته ورسوله...	التوبة	٧٤	١٢٢
أثنا أنا أن نعبد ما...	هود	٦٢	٩٢
أحياء عند ربهم يرزقون	آل عمران	١٦٩	١٥٥
أشد كفراً	التوبة	٩٧	١٠٥
أغير الله أبغىكم رباً...	الأعراف	١٤٠	١٢٦
أفـتـؤمـنـون بـبعض الكتاب...	البقرة	٨٥	١١٣
ألا إن أولياء الله لا خوف...	يونس	٦٢	٥٧، ٦٢، ١٠٠
ألم تر أن الفلك تجري...	لقمان	٣٢-٣٦	١٠٨
أم اتخذوا من دون الله...	الزمر	٤٤-٤٣	٨٣
أنا خير منه خلقتني...	الأعراف	١٢	١٦٢
أنفسنا	آل عمران	٦١	٤٥
أولئك الذين يدعون يستغنون...	الإسراء	٥٧	٦٨
أمسوا واصبروا على آلتكم	ص	٧-٦	٤٣
بسم الله الرحمن الرحيم	الفاتحة وأول كل سورة	١	٢٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
بلى من أسلم وجهه...	البقرة	١١٢	٦٣
تبيئاً لكل شيء وهدى...	النحل	٨٩	٥٥
توقني مسلماً وألحقني بالصالحين.	آل عمران	١٧	٥٢
ثم كانت عاقبة الذين...	الروم	١٠	٦٦-٦٧
ذلك بأنهم اسحبوا الحياة...	النحل	١٠٧	١٦٩، ١٧١
رب اشرح لي صدري..	طه	٢٥-٢٨	٢١
شديد القوى	النجم	٥	١٥٣
فاستغاثه الذي من شيعته..	القصص	١٥	١٣٧
فالحكم لله العلي	غافر	١٢	١٣٥
فأذن لمن شئت منهم...	النور	٦٢	٣٣
فتلقى آدم من ربه...	البقرة	٣٧	٨٦
فتلقى آدم من ربه...	البقرة	٣٧	١٤٦
فصل لربك وانحر	الكونر	٢	٧٦، ٧٥
فلا تدعوا مع الله أحداً	الجن	١٨	٣٥
فلا تدعوا مع الله أحداً	الجن	١٨	١٣٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات...	غافر	٨٣	٥٤
فمن تبع هداي فلا...	البقرة	٢٨	٦٣
في بيوت أذن الله أن ترفع...	النور	٣٦-٣٧	١٤٢، ٤٥
قل ادعوا الذين زعمتم...	الاسراء	٥٦	٧١
قل أنتبنون الله بما لا يعلم في...	يونس	١٨	٤٠
قل أرايتم إن أنا كم عذاب ..	الانعام	٤٠	١٠٣
قل بفضل الله ورحمته فبذلك..	يونس	٥٨	٥٠
قل لله الشفاعة جميعاً	الزمر	٤٤	٨٠، ٣٣، ٨٣
قل لمن الأرض ومن...	المؤمنون	٨٤-٨٥	٢٥، ٢٤
قل من بيده ملكوت...	المؤمنون	٨٨-٨٩	٢٥-٢٤
قل من يرزقكم من السماء والأرض...	يونس	٣١	٢٤
قل هو الله أحد...	الاخلاص	١-٢	٩٧
كذلك يطعم الله على قلوب ..	الروم	٥٩	١١٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
كل حزب بما لديهم فرحون...	المؤمنون والروم	٥٣ ٣٢	٥٢
لا تسجدوا للشمس ولا للقمعر	فصلت	٣٧	٥٩
لا تعذبوا فذكركم بعد إيمانكم...	التوبة	٦٦	١٦٧
لا تنفع الشفاعه عنده إلا...	سبا	٢٣	٦٦
لأفسدن لهم صراطك المستقيم	الأعراف	١٦	٥٤
لا يقدر على شيء وهو...	النحل	٧٦	١٤٥
لا يهلكون شيئاً	الزمر	٤٣	٩٢
لم يلد ولم يولد	الاخلاص	٣	٩٧
له دعوة الحق والذين...	الرعد	١٤	٣٥
له من في السموات والأرض...	الروم	٢٦	٢٦
ليس كمثل شيء	الشورى	١١	٥٩
ليعبداً لله مخلصين...	البينة	٥	٥٩
ما اتخذ الله من ولد...	المؤمنون	٩١	٩٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ما المسيح بن مريم وأمه إلا...	المائدة	٧٥	٦٨
ما نعيدهم إلا ليقربونا...	الزمر	٣	٧٣، ٦٩، ٨٨، ٩١، ٩٨، ٩٢
محمد رسول الله	الفتح	٢٩	١١٧
من ذا الذي يشفع عنده...	البقرة	٢٥٥	٣٩، ٦٥، ٨٠
من كفر بالله من بعد إيمانه...	النحل	١٠٦	١٦٩، ١٧١
هو الذي أنزل عليك الكتاب...	آل عمران	٧	٥٧، ٦٠
هؤلاء شفعاؤنا عند الله...	يونس	١٨	٣٥، ٥٢، ٥٨، ٦٠، ٦٩، ٧٣، ٨٨، ٩٨، ١٥٢
وابتغوا إليه الوسيلة	المائدة	٣٥	٣٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وإذا سألك عبادي عني...	البقرة	١٨٦	١٥٨، ١٥٦
وإذا غشيهم موج كالثُّلُج...	الأنعام	٣٢	١٠٣، ١٠٨
وإذا مسَّ الإنسانَ ضرًّا...	الزمر	٨	١٠٣، ١٠٧
وإذا مسَّكم الضرُّ في البحر...	الاسراء	٦٧	١٠٣، ١٠٥
واستعقر لذنبك وللمؤمنين...	محمد ﷺ	١٩	٣٤ - ٣٣
والذين آمنوا واتبعهم...	الطور	٢١	٣٤
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم	النور	٤٦	١١٨
وإن جندنا لهم الغالبون	الصافات	١٧٣	٥٤
وإن من شيء إلا يسبح..	الاسراء	٤٤	٢٦ - ٢٥
وتنسون ما شركون	الانعام	٤١	١٠٦
وجحدوا بها واستيقنتها...	التغل	١٤	٥٦
وحملوا الله شركاء الجحش	الانعام	١٠٠	٩٧
وخاتم النبيين	الاحزاب	٤٠	١١٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون...	الشعراء	٢٢٧	٥٠
وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً...	ص	٥	٤٨، ٤٣، ٩٥، ٤٩، ١١٢
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً...	الانعام	١١٢	٥٤ - ٥٣
ولا تحسبن الذين قُتلوا...	آل عمران	١٦٩ - ١٧٠	١٠٢، ١٤٨ - ١٤٧
ولا تقولوا لمن أتى إليكم...	النساء	٩٤	١٦٠
ولا يأتونك بمثل إلا...	الفرقان	٣٣	٥٥
ولا يستفحون إلا لمن أرنضى...	الأنبياء	٢٨	٣٩، ٦٦، ٨٤، ٨١
وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فادعوه...	الأعراف	١٨٠	١٤٦
وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ...	آل عمران	٩٧	١١١
وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...	الرعد	١٣	٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وما أبرئ نفسي إنَّ النفس...	يوسف	٥٣	١٦٥
وما يلقاها إلاَّ الذين صبروا...	فصلت	٣٥	٥٨
ومن يتبع غير الإسلام...	آل عمران	٨٥	٨١
ومن يقطع الله والرسول...	النساء	٦٩	١١٣
ومن يؤمن بالله يهد قلبه...	التغابن	١١	١٦٠
وهو يجبر ولا يجار عليه...	المؤمنون	٨٨	٤٨
ويعبدون من دون الله...	يونس	١٨	٧٤. ٣٨
ويوم نحشرهم جميعاً ثم...	الانعام	٢٢	٦٨
يا أيها الذين آمنوا إنَّ الحجرات...	الحجرات	٦	١٢٩
جاءكم فاسق...			
يا أيها الذين آمنوا إذا خربتم في...	النساء	٩٤	١٢٨
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله...	الأحزاب	٤١-٤٢	١٤١
يا صالح قد كنت فينا مرجواً...	هود	٦٢	٤٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يا قوم اعبدوا الله ما لكم...	هود	٦١	٤٣
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...	ص	٧٦	١٦١ - ١٦٤
يقولون كل من عند ربنا	آل عمران	٧	٦١



فهرست الروایات

إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه... ..	٥٧
أنه ﷺ سأل لما قرأ... ..	٤٥
إني تارك فيكم الثقلين... ..	٦٦
أسمع صلاة أهل محبتي... ..	١٤٩
أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله... ..	١٣٤، ١٣٣، ١٢٩، ١٢٧
أما إليك فلا... ..	١٥٨، ١٥٣
أمرت أن أقاتل الناس حتى... ..	١٣٥، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧
أيما لقيتموهم فاقتلوهم... ..	١٢٩
بين قبري ومنبري روضة... ..	١٤٥
حلال محمد حلال إلى يوم... ..	١١٧
خلفتكم للبقاء لا للفناء... ..	١٤٨
رجعتم وقضيتم الجهاد... ..	١٤٨

- رفع عن أمتي تسعة... ١٧٠
- قولوا لا إله إلا الله... ٤٩
- لا نبي بعدي .. ١١٧
- ما منّا إلّا من هو مقتول أو مسموم... ١٤٨
- من فسر القرآن برأيه... ٩٦
- هل شققت قلبه... ١٣٣
- يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط... ١٢٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست الزيارات والأدعية

السلام على أهل لا إله إلا الله ..	١٥٠
السلام عليك أيها النبي ..	١٥٠
السلام عليكم يا أهل الدبار من ..	١٥٠
اللهم اني أعتربك بذلك بذكرك ..	٨٢، ٤٣
اللهم بمحمد ﷺ وأنت المحمود ..	٨٦
إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا ..	١٦٣
إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ..	٢٦
ونقبل شفاعته وارفع درجته ..	٨٢
يا أهل بيت النبوة ..	٦٥
يا وحيها عند الله اشفع لنا ..	٨٢